محمود أحمد على

الجرح النازف

متتالية قصصية فلسطينية

كتبت هذه القصص من عام 2009 إلى عام 2011

طبعة أولى مايو 2019



مسابقة باقر السماوي للإبداع

في الشعر والقصة، الدورة الأولى مايو 2019

الكتاب الفائز بالمركز الأول فرع القصة القصيرة

برعاية مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

عنوان المؤلف	الجرح النازف
المؤلف	محمود أحمد على
التصنيف	متتالية قصصية فلسطينية
رقم الإيداع القانونى	2019 - 8875
رقم الإصدار الداخلى	396 الطبعة الأولى مايو 2019
عدد الصفحات	84 صفحة

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة

ناجى عبد المنعم

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572

عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018

هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901

nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات

alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat

المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

الإهداء

إلى.. حبيبتي فلسطين
القوية
الأبية
رغم جرحها النازف..

محمود

كلمة أ . د . باقر السماوي بمناسبة ختام الدورة الاولى لمسابقة باقرالسماوي للإبداع

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملكم ورسولُهُ والمؤمنون) صدق الله العلي العظيم

يا مصر .. لي بين الضلوعِ غرامُ
إنّ القطيعةَ للحبيبِ ... حـــــرامُ
إن القصيدةَ تستفزّ ُ مشـــاعري
ماذا سأكتبُ ... والضلـــوعُ ركامُ
يكفيني أن تُبقين ألـــــف حبيبتي
يا مصرُ ... إن عصفتْ بنا الاعمامُ

الحمد لله على ما انعم .. والشكر له على ما قدم .. أنحني أمامكم أيها الاحبة لأزداد طولا ، في البدء أتقدم بخالص الشكر والتقدير الى أخي وصديقي الوفي أ . ناجي عبد المنعم ولجميع الاحبة العاملين في مؤسسة النيل والفرات للنشر والطبع والتوزيع ، والشكر موصول لكل المبدعين الفائزين وغير الفائزين ، ويكفينا فخراً أن الكثر

منهم كان منسجماً مع توجهاتنا في حماية اللغة العربية .. لغة أهل الجنة .. لغة القرآن الكريم .. قد نختلف عقائدياً أو مذهبياً لكننا نجتمع في محبتنا للغة العربية . واليوم .. لغتنا العربية الجميلة مهددة بزحف ثقافي غربي يحاول مسح هويتنا العربية ، وما هذه المسابقة مسابقة العبد الفقير لله باقر السماوي للابداع الا خطوة بسيطة في طريق حماية اللغة العربية ورعاية المبدعين ، نحن نمتلك جيوشاً من المغنين والراقصات ولكننا للأسف لا نمتلك الا اعداد قليلة من المبدعين في مجال اللغة والادب ، وقد أشرتُ في أكثر من مقابلة صحفية وتليفزيونية بأننا ربما بعد سنوات قد لا نجد شاعراً يجيد فن كتابة القصيدة ، وربما أيضا قد نفتقد الى قاص يجيد سبك الاحداث بحركية فاعلة تشدُّ اليها المتلقي . في أحدى القرى النائية في بلد عربي ما .. عدد سكانها لا يتجاوز الـ (100) ألف نسمة لكنها تمتلك أكثر من ألفين بين مغني وراقصة ، ولا تمتلك شاعراً واحداً ولا كاتباً واحداً هذه كارثة بل طامة كبرى ..

اليوم أقف ومعي الكثير من الخيرين الذين ما زالوا يراهنون على حيوية وفعالية هذه الامة .. وفعل وتأثير اللغة .. نحن بحاجة ماسة الى العشرات من امثال ا . ناجي عبد

المنعم .. والعشرات من أمثال ا . شحات خلف الله .. والعشرات أيضا من السيدة الفاضلة أ . جيهان عبد الرؤوف ، هؤلاء واخوانهم هم من واصلوا الليل بالنهار ونذروا اعمارهم لقضية مقدسة وكبيرة وهي حماية اللغة ورعاية المبدعين من ابناء الوطن العربي الكبير.. هم لم يلتفتوا الى حاجز الجغرافيا .. ولا الى اي خلاف او حواجز أخرى .. وضعوا نصب أعينهم خدمة الواقع الثقافي العربي وخدمة الابداع واخلصوا وتفانوا .. فتحية اجلال ومحبة من أخ يكن لهم كل المحبة والود ومن خلالهم الى كل الشعب المصري الشقيق لأننا دعاة محبة وسلام وتفاؤل .. ولأننا كعراقيين يستقر فينا و في قرارة الضمير والوجدان حب الشعب المصري ولأنهم يبادلوننا نفس المشاعر .

وبهذه المناسبة السعيدة أود أن أقول بأن المشاركات في مجالي الشعر والقصة في مسابقة باقر السماوي للابداع كانت عند أيادٍ أمينةٍ .. أساتذة باختصاص ويحملون ضمائر نقية حكموا بالعدل وأنصفوا الكل .. وكنت معهم خطوة بخطوة نتناقش في حيثيات المشاركات وقوتها وآفاقها ووقعها على المتلقي .. ويسرني أن أعلن عن أسماء الفائزين في هذه المسابقة ، فقد أعتلى صهوة الشعر الفصيح

الفارس الشاعر والاخ العزيز المبدع السيد السيد زكريا .. من خلال ديوانه الرائع (يقول الشعر) .. فألف تحية حب وتقدير لما خطّته ُ أنامله ُ في ما قاله من شعر ، يطرب السامع .. والف ألف مبارك له . أما في مجال القصة .. فقد كان هناك رجلا ً بارعا ً في صياغة الاحداث وايصال رسائله الرائعة من خلال سرد قصصي جميل ومعبر كان ذلك الفارس هو السيد محمود أحمد علي .. ومن خلال مجموعته القصصية (الجرح النازف) فعلا وانت تبحر في مجموعته القصصية هذه تلمس جرحا ً نازفا ً من خلال سير الاحداث وعمق الشخصيات .

أسجل مرة أخرى شكري وتقديري لجميع العاملين في مؤسسة النيل والفرات ، وأبارك للأحبة المشاركين والفائزين ، وبودي أن أعلن عن مفاجأة بسيطة بعد أن أحمد الله عز وجل وأشكره على نعمته .. بأنه ستكون مسابقة باقر السماوي للابداع سنوية وليس هناك تحديد للاعمار بل الابداع هو الحكم والفيصل ، وأخوّل مؤسسة النيل والفرات في فرز وتقييم وترشيح نتاجات الادباء وتحديد حفل التكريم والامور الاخرى . أدعو الله عز وجل للجميع بالمحبة والخير

والسداد والتوفيق والتعاون بيننا وما توفيقي الا بالله العلي العظيم .

شكراً لمصر مرة وألف .. وشكراً لشعبها الطيب المعطاء .. هذا الشعب العظيم صاحب ملحمة العبور .. والذي ما زال ينتج لنا ادباء عمالقة وقامات سامقة في سماء الادب والابداع .. و شكراً لله أولاً واخيراً ..

محبتي لكم مع خالص الود ..

أخوكم

أ . د . باقر السماوي

2019 / 4 / 13

هواؤهم وهواؤنا

" مفتتح "

" إنني أشعر بالأسف ؛ لأنني لم أتخلص من الفلسطينيين كما حاول هتلر أن يفعل مع اليهود ، وإنني أتعهد بأن أحقق ذلك "

(شارون رئيس وزراء إسرائيل الأسبق)

أرسلت إليَّ صديقة عزيزة مسئولة في الحكومة الفلسطينية من غزة رسالة قصيرة عبر التليفون المحمول

تقول فيها :

(لقد دمر الغزاة الإسرائيليون كل شيء في غزة الحبيبة

كل شيء ..لا ماء ..لا كهرباء .. لا تليفونات .. أخشى أن يمنعوا عنا الهواء ....)

ولأول مرة في عمر صداقتنا لا أقوم بالرد على رسالتها .. على الأقل برسالة مماثلة، كيف..؟ ولماذا..؟ لا أدري..

ترى هل لأنني لم أجد جدوى من كثرة ردى عليها ..؟!!

أم لأنني لم أجد صدى لما أكتبه عن فلسطين عبر صحيفتنا اليومية ذائعة الانتشار ..!!

أم يرجع السبب الحقيقي في عدم ردى إلى ذلك التهديد المباشر من رئيس التحرير في لقائه الأخير بي داخل مكتبه:

(اسمع يا أستاذ ناصر .. أطالبك للمرة الأخيرة بعدم كتابة أي شيء عن فلسطين، والمقاومة الفلسطينية ، وعن كتائب فتح ، وحماس ،

أقولها لك بالعربي، والفرنساوي، والإنجليزي، وبجميع لغات العالم .. أغلق ملف كتاباتك عن فلسطين .. أنا لا أريد إثارة ، أو بلبلة .. يكفينا مشاكل الجريدة التي لا تنتهي ، علينا أولاً حلها وبعد ذلك نحل مشاكل الغير)

هزني الموقف ..

وقفت للحظات غارقاً في عرقي المتساقط من وجهي

بغزارة ، وأنا أفكر في هزيمتي ..

لقد فعل النازيون من قبل شيئاً كهذا ، عندما حاصروا

(لينينجراد) في الحرب العالمية الثانية لمدة ستة أشهر كاملة، ظلت المدينة تقاوم خلالها ..

لقد جاء حصار " غزة " وقصفها الآن استكمالاً عسكرياً للحصار السياسي والاقتصادي الذي نظمته أمريكا ، حصار دمار ، خراب .. من أجل خطف جندي إسرائيلي واحد ، من يصدق هذا ..؟!

استيقظت من نومي – وكعادتي – فإن أول شيء قمت بعمله أمسكت تليفوني المحمول القابع بجواري من ليلة أمس فوق (الكوميدينو) .. أجد رسالة جديدة ، أفتحها على الفور .. إنها من صديقتي بغزة ، تقول فيها :

(ستة أشهر منذ أن انقطع الماء ، والكهرباء .. انتشر فيهم المرض بسرعة مقلقة ، وكثرت حالات الوفاة ، ورغم ذلك .. المقاومة لم تتوقف .

ملحوظة مهمة جداً .. ما تقرأه .. وما تشاهده عبر التلفاز.. ألم يحرك فيك شيئاً لتكتب عنه ..؟!!! أخشى أن تكون أنت الآخر محاصراً)

كلماتها خناجر حادة راحت تذبحني في بطء .. بطء شديد

على الفور وجدتني أردد جملتها ..
" أخشى أن تكون أنت الآخَر محاصراً "
رحت أخطو خطوات بطيئة متكاسلة داخل حجرة نومي حتى توقفت أمام المرآة ..
رحت أتأمل انكساري ..
يشدنى الجرح الغائر – القديم – في وجهي الذي تسبب فيه جندي من جنود الأمن المركزي ، عندما تزعمت مظاهرة طلابية ضد الحصار المفروض على حرية الطلبة
" أخشى أن تكون أنت الآخر محاصراً "
صدى كلاماتها راح يطاردني بشدة ..
تركبني كل الشياطين ..
ألتفت ورائي ..
الورقة النائمة في هدوء بجوار التليفون ، المدون بها طلبات زوجتي تخرج لسانها ، قبل أن تغادر زوجتي البيت إلى عملها
أقرأ سطورها ..
" فلوس الإيجار..
والبقال..
ودروس الأولاد..
وحضانة البنت "
وأنا في حفل افتتاح مهرجان القاهرة السينمائي الدولي – بعد أن حولني رئيس التحرير من القسم السياسي إلى القسم الفني – جاءتني تلك الرسالة ..

(الغزاة في طريقهم لصنع نصف كرة من الصاج الصلب بحجم مدينة " غزة " كي يحجبوا عنا رؤية السماء ويمنعوا أيضاً عنا الهواء .. تحرك .. تحرك أرجوك وأخبرني لآخر مرة ماذا نفعل ..؟! ملحوظة مهمة جداً .. المقاومة لم تتوقف ..)
هل وصلت بهم الجرأة ، والوقاحة أن يمنعوهم من استنشاق الهواء..؟!! ترى هل لهم بعد آخر في أن يمنعوا الهواء من أن يداعب علم فلسطين..؟!!
يجب أن أفعل شيئاً ..
نعم أي شيء مهما كان الثمن ..
ولكن ماذا عليَّ أن أفعل .. وأنا محـ ......؟!
تصفعني كلماتها التي تشعرني بالعجز والخجل ..
(تحرك وأخبرني لآخر مرة ماذا نفعل ..؟!)
على الفور وجدتني أمسك الموبايل .. ورحت أكتب إليها رسالة بعد طول غياب :
عزيزتي / ....
أقترح عليكم أن ترسلوا إلى جميع رؤساء وملوك الدول العربية تطالبونهم بتعبئة هواء جاف .. نعم هواء جاف
داخل كبسولات معبأة داخل علب من الدواء كعلاج مؤقت للاختناق والحصار ..
دمتِ لنا .. ودامت دولتكم دولة العرب فلسطين .
على فقط فعل شيء آخر ، ويحدث ما يحدث ، أن أكتب
هذه الرسالة باستفاضة في الصحيفة ، لعل الماء الراكد
بين الدول العربية يتحرك .

أجلس حزيناً داخل البيت ؛ لأشاهد الدماء الزكية العربية وهي تسيل ..

- آدي اللي خدناه .. إيه اللي فادك ..؟!

تصفعني كلمات زوجتي من الخلف ..

لقد أوقفني رئيس التحرير عن العمل لحين التحقيق معي ؛ بسبب كتابة مقالي الأخير بعنوان :

(توحيد الهواء) ..

تليفوني المحمول يناديني ..

أمسكته بعد أن عرفت بأن هناك رسالة جديدة .. فتحتها

(ماذا فعل بنا هواؤكم المعبأ داخل كبسولاتكم الدوائية..؟!

لقد تأكد لنا أن هواء الدول العربية غير مناسب لنا، وأيضاً غير مناسب للمقاومة الفلسطينية..أتدري لماذا ..؟!

لأن هواءكم أصابنا ، وأصاب المقاومة بالتبلد .. التبلد الشديد.. سرنا نشاهد ما تفعله إسرائيل ، ونقف لنضحك .. نعم نضحك وبشدة .. نصفق لهم بشدة.. بل البعض منا يساعدهم فيما يفعلونه .. شكراً .. شكراً لكم ولهوائكم..)

بناء جديد

الطائرات الإسرائيلية لم تزل تحلق في السماء ..
تدك الأرض دكاً ..
راحت البيوت تنهار في قوة تباعاً ..
صرخات الأمهات والأطفال تلف المكان ..
الكل يسرع ويهرب من القنابل التي لم تتوقف لحظة واحدة ؛ بالهروب خارج المدينة ..
رويداً ..رويداً ..
تنسحب الطائرات تباعاً من حيث أتت ..
إحدى الأمهات ظلت تصرخ ؛ لعدم وجود طفلتها التي اختفت من جانبها فجأة ..
من الجانب الآخر راحت تلتصق بها صرخات أم فقدت طفلها
تتقابل الصرخات ..
تتوحد ..
الأمهات عائدات إلى المدينة يبحثن عن أطفالهن .. تسبقهن نداءاتهن .

- إسلام ....
- وطنية ....

الطفلان منهمكان في إعادة رص الأحجار في محاولة منهما لبناء البيوت المتهدمة ، ويعلو الأحجار علم فلسطين الورقي .

الحارس الأمين

أخيراً تحركت الدول العربية ، بعد صمت طويل .. طويل جداً للوقوف بجانبنا نحن شعب (غزة) المحاصر منذ شهور ، بعدما شاهدونا عبر شاشات التلفاز ، والحب يموت ، والعمر يموت ، والحلم يموت ، والشباب يشيخ والمولود يعلن عن موته قبل المجيء ، وأصبحت تسود فيما بيننا الوحدة .. العزلة .. إحساسنا بالمطاردة الدائمة

لقد اتفقت – أخيراً – جميع الدول العربية على أن تخرج من كل دولة أفضل ما لديها من جنود مهرة ، ثم يتم توزيعهم على مدينة (غزة) بحيث يصبح نصيبَ كل بيت في (غزة) جندي عربي شجاع ، يجلس داخل البيت ليل نهار لحماية أفراده ، وقد كان من نصيب أسرتي هذا الجندي الجالس في بيتنا ليل نهار ، حتى أصبح فرداً من أفراد الأسرة ، يأكل مما نأكل ، ويشرب مما نشرب ، والحق يقال إنه منذ أن وطأت قدماه داخل دارنا ، لم يحدث لنا مكروه قط ، وراح السلام والأمان يعشش في أرجاء البيت ..

_ 2 _

- **خيرا اللهم اجعله خيراً ، أنا قلبي متخوف هذه الليلة ..**

قالتها زوجتي ثم وضعت يدها أسفل ذقنها ، وجلست في حزن شديد ، رحت أطمئنها :

- **كيف تخافين، والجيوش العربية تقوم على حراستنا**

_ 3 _

طار النوم من عيني ، محلقاً بجناحيه في الهواء، بعدما تغول بداخلي هذا الخوف الذي زرعت زوجتي بذرته داخلي ، فصار الخوف يجرى في عروقي مختلطاً بدمائي

قمت حاملاً بين يدي سكين الوهم ؛ كي أقطع بها الشك باليقين ، رحت أتجول داخل حجرات البيت ، أخرج من حجرة ، لأدخل أخرى ، لأجد الهدوء يعم المكان ، وكل شيء على ما يرام ، زوجتي تنام على سريرها تغط في نوم عميق ، وطفلي الوحيد نائم في حجرته ممسك بمسدسه (اللعبة) .. يدخل به حلمه الذي لم يتغير حتى الآن ، والذي دوماً يقصه عليَّ فور استيقاظه من نومه وهو يطير فرحاً :

(بابا أنا حلمت إنى قتلت عشرة جنود إسرائيليين)

عدت إلى حجرتي ، في محاولة منى للإمساك بحبال النوم مرة أخرى

رويداً ..

رويداً ..

عاد طائر النوم يحط على حجرتي مرة أخرى ، حتى احمرت عيناي ، ودمعتا من كثرت تثاؤباتى ..

دقائق وشعرت بأصوات غريبة داخل البيت ، لم أعتدها من قبل .. رحت أطمئن نفسي :

- إنه القلق .. نعم القلق اللعين الذي راح يتغلغل داخلي في حرية ..

الصوت الغريب راح يزداد داخل البيت ، تبعته صرخات طفلي (صلاح الدين) .. تلك الصرخات التي راحت تخترق أذني بشدة :

- أنقذني يا أبى .. جندي إسرائيلي يقوم بخطفي الآن ..

رحت أوقظ (الجندي العربي) ، وأخبرته بما سمعته ، رد على في ثقة زائدة عن الحد :

- لا تخف اتركه يأخذ الطفل ، فلن يخرج الجندي سالماً

عقدت الدهشة لساني ..

رحت أتحرك في عصبية شديدة داخل الحجرة عاقداً يدي خلف ظهري ، تلازمني عيناه أينما تحركت ..

يأتيني صوت زوجتي سريعاً كطلقات رصاص :

- أنقذني يا أبا (صلاح الدين) جندي إسرائيلي يقوم بخطفي الآن ..

جن جنوني ..

صرخت في وجه (الجندي العربي) الذي لم يتحرك قط :

_ إنت ..

فاجأني بقوله البارد مثل لوح الثلج :

_ قل لزوجتك لا تخف ، ولتأمرها أن تذهب معه في هدوء دون مقاومة ، هدوءنا هذا تتبعه عاصفة قوية مخططة ..

ركبني ألف عفريت ، ولفني ذهول أفقدني عقلي ، وجعلني أصمت مرغماً كاتماً بركان غيظي ..

ساد الصمت بيننا قليلاً وثقيلاً ..
طق .. طق .. طق
دقات ثلاث فوق باب حجرتنا ..
رد (الجندي العربي).. دون أن يعرف من الطارق :
_ تفضل ..
مبتسماً دخل حجرتنا ، تسبقه إلىَّ خطوات الواثق من نفسه ، حملني بين يديه كطفل رضيع دون أدنى مقاومة منى .. _فجسدي أنهكه المرض حتى صرت كعود القصب الممصوص_ وقبل أن يخرج بي (الجندي الإسرائيلي) صرخت في وجه (الجندي العربي) في ذهول :
_ أنا مخطوف الآن ، ولم يتبق غيري في البيت ..
فتح فمه الذي تساقط من فكيه معظم أسنانه ، وما تبقى أصابه عطب التسوس ، ثم راح يتمطع ويقول بعد أن أنهى تثاؤباته :
_ اذهب .. اذهب معه مستسلماً دون مقاومة ، إنها خطة محكمة ، هذا الهدوء لم يأت من فراغ ..
التفت إلىَّ الجندي الإسرائيلي الذي ما زال يتبسم في سخرية .. مرغماً .. مستسلماً خرجت معه محمولاً بين يديه دون مقاومة ، وقبل أن أغادر باب الحجرة ، نظرت خلفي حيث مكان السلاح العربي) المنكس والمرابط بجوار (الجندي العربي) .. الذي يغط في نوم عميق ...!!!!!

المزاد

تأتيك أصواتهم سريعة قوية متوحدة ؛ لترج المكان :
- أين .. أين أنت يا_.......؟!
- فلسطين تفتقدك يا أشجع الرجال
ولأنك لم تفعل مثل غيرك ، ممن رأوا ، وسمعوا ، حتى جعلوا من آذانهم (ودن من طين وودن من عجين)
تنتفض روحك تاركة الجسد فور سماعك تلك النداءات المتكررة .. فإذا كان قد قدر لك ترك الحياة وما عليها ، إلا أنك مازلت تعرف الأخبار .. كل الأخبار التي تأتيك عبر من يقومون بزيارتك ليقرءوا عليك الفاتحة .. يبثونك آلامهم .. أحلامهم يتحدثون معك عما يحدث للأمة ، ويترحمون على ماضيك الجميل الذي ولَّى ..
فور وصولك رحت تصلِّى ركعتين تحية المسجد الأقصى ، ثم تصلِّى ركعتين شكراً لله تعالى من أجل نضال المقاومة الفلسطينية، ثم رحت تقرأ الفاتحة ، وأنت تقف دقيقة حداداً على أرواح الشهداء .
روحك راحت تحلق في الهواء عالياً ، حتى وصلت إلى مكان الأصوات التي ما زالت تناديك :
- أين .. أين أنت يا ....؟!
- فلسطين تفتقدك يا أشجع الرجال
تصدمك الكلمات المكتوبة بلون الدم .. رحت تقرؤها في همس :

(تعلن دولة إسرائيل العظمى أنه غداً سيتم البيع بالمزاد العلني لـ جميع مدن فلسطين ، والبيع قاصر فقط على الدول الحليفة ، وما عدا ذلك ممنوع الاقتراب ، ولكننا نسمح لهم فقط بالتصوير)
رحت تحدق في الوجوه _ تلك الوجوه التي بني حولها
أسوار من حديد، بعضها راح ينادى عليك ، والبعض الآخَر في محاولة منهم لكسر الأسوار الحديدية ؛ كي يصلوا إلى لافتة المزاد ؛ ليأكلوها أكلاً_ تبحث عن الملوك والأمراء والرؤساء والزعماء والقادة العرب الذين وعدوك بتحمل المسئولية من بعدك ، أليسوا هم القائلين في يوم وداعك الكبير :
(اذهب أنت عليك سلام الله ونحن وراءك نحمل رايتك .. نكمل مسيرتك ، فالقدس لن تضيع .. لن تضيع ..!)
تحزن عندما لم تعثر على أحد منهم ، أو حتى من ينوب عنهم .
رحت تحمد الله وتشكره ؛ لأنك فارقت الدنيا من قبل أن ترى هذا المشهد الأليم ..
تهمس في ألم للبقية الباقية من المناضلين :
(أنتم الصامدون ، وهم الصامتون)
ثم تردف في حسرة :
(البقاء لله وحده يا وحدة الصف العربي)
الصمت الثقيل راح يخيم عليك ، رحت تصرخ فيه بشدة :
(كيف وصل بنا الحال لما هو عليه الآن..؟! كيف..؟!)
سكاكين الصمت راحت تلتف من حولك ؛ لتمزق ما تبقى منك/ روحك.. ذلك الصمت الذي لم تذق طعم مرارته من قبل ،على الفور تخرج من جيبك ورقة وقلماً ، ورحت تكتب لهم :

(ارفعوا رؤوسكم عالية.. عالية إلى عنان السماء ، ورددوا ورائي :
"ارفع رأسك يا أخي "
ثم ..
"ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة "
إنني أطلب منكم يا أهل غزة ثلاثة أشياء.. نعم ثلاثة أشياء فقط : الأمل ..الصبر ..الإيمان .. وأما عن القدس فلها رب يحميها. "جمال عبد الناصر")

الجرح النـازف

مفتتح :

" الوطن مرسوم في كل فاصلة .. في كل رشة حبر يتركها أديب على الورق . "

الشاعر/ نزار قباني .

وصلت إلى مركز " فلسطين الطبي " فور إبلاغي بما حدث

وقفت أشاهدها من خلف الباب الزجاجي لحجرة العناية المركزة ، جسدها ممدد فوق السرير ، أسلاك وخراطيم كثيرة من البلاستيك خارجة وداخلة إلى جسدها الهزيل ،

بابا عينيها قد أغلقا تماماً ، هاتان العينان الخضراوان كلون الزيتون بعد جمعه.

هاتان العينان اللتان لم تُغلقا من قبل قط ، حتى عندما يغلبهما سلطان النوم دون إرادتهما، أراهما مفتوحتين على اتساعهما، وكثيراً ما طلبت منها في رجاء أن تريح تروس عقلها المتحرك دائماً ، وأن تنام نوماً عميقاً _ فجسدها قد صار هزيلاً ، بعد أن ذاب جمالها ، حتى إنني في بعض الأحيان أشعر أنى قد أنجبت ولداً ، لقد أشعرتني بحقيقة هذا الأمر، بعد أن اختفت معالم أنوثتها تماماً _ تبتسم في

وجهي كعادتها قبل أن تجيبني عن أي سؤال ، راحت تقول وهى عاقدة يدها خلف ظهرها، تجوب حجرة نومها :

(أبى .. كيف تطلب منى أن آخذ نصيبي كاملاً من النوم والقدس أسير ..؟!!)

لم أجد بديلاً ، أغلق عليها باب حجرتها ، وأتركها وحيدة فكرها ، فقد اقترب موعد صلاة الفَجر .

وعند عودتها من مدرستها (القدس الأبية) تجدني أجلس في انتظارها بعد أن انتهيت من إعداد وجبة الغداء ، تقبلني قبلات، اثنتين على خدي ، ومثلهما على يدي اليمنى ، تضع كراريسها التي احتضنتها طيلة ذهابها وعودتها من المدرسة ، في سعادة راحت تفرغ جيوبها المثقلة بالأحجار ، تلك الأحجار التي استطاعت جمعها وهى في طريق عودتها من المدرسة ، أجد السعادة كل السعادة متوثبة على خديها ، وهى تحدق في وجوه الأحجار القابعة من حواليها ، تمسك حجرين تضربهما في بعضيهما ضربتين قويتين، على الفور تخرج من جوفيهما حصوات صغيرة قد ولدت لتوها، تمسك الحصوات حديثة الولادة ، الواحدة تلو الأخرى، وكأفضل صانع أجدها تمرر المقدمة فوق حجر من الجرانيت الصلب، حتى تخرج مقدمة الحصوات في النهاية مدببة كحد السكين ، ثم تحدثها في تمنٍّ من وقت لآخر :

(أحبابي.. جنودي الأبطال البواسل ، عندما تخرجون من (نبلتي) أرجوكم أن تصيبوا هدفكم تماماً مثل كل المرات السابقات ، اخرجوا لتدخلوا في رؤوس أو أعين أعدائنا ، فإذا كنا لا نملك طلقات

الرصاص التي نضعها داخل الأسلحة ، فإننا قادرون بأمر الله أن نصنع من الأحجار طلقات رصاص فتاكة، تصيب أعداءنا في مقتل ، أليس كذلك أيها الأبطال ..؟!!)

كثيراً ما حاولت أن أمنعها من الخروج ، بعد أن أغلق الأبواب والنوافذ ، ورغم أنها لم ولن ترفض لي مطلباً ، ورغم أنى أنا الذي أغلقت كل مخارج ومداخل دارنا ، إلا أنني أقوم بفتحها كما أغلقتها ، بعد أن أرى دموعها وهى تتساقط سريعة ملتهبة على خديها وهى ترجوني :

(هذه البلد لها حق علينا ، وما أفعله تجاهها واجب ، بل أقل بكثير من كلمة واجب)

أصرخ في وجهها :

(ولكني أخشى عليكِ من أن يخطفكِ الموت ، وأنتِ صغيرة صغيرة يا ابنتي على الموت و ....)

تضع أصابعها الصغيرة _ التي تآكلت هي الأخرى كأحجارها _ على فمي وهى تقول :

(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا)

أخجل من نفسي ، ومن قوة إيمانها ووطنيتها ، على الفور أجدني أهرب منها ، ومن ضعفي ، وقلة حيلتي بفتح الأبواب على مصاريعها ..

(لا إله إلا الله)

تقولها وهى خارجة في همة ونشاط ..

أرد عليها وقلبي ينزف ألماً وخوفاً :

(محمد رسول الله)

أمسك بالمصحف الشريف بين يدي ، منذ اللحظات الأولى لخروجها ، أقرأ ما تيسر لي من القرآن الكريم ، كي تهدأ أنفاسي وخوفي ، الشيطان الرجيم ظل متربصاً بي حتى أوقعني فريسة سهلة ، أغلقت المصحف بعد أن تأكد لي أن لساني يردد الآيات فقط دون وعى أو إدراك

رحت أجوب المكان عاقداً يدي خلف ظهري ..

توتري وخوفي الشديدان عليها جعلاني أشعل سجائري من وقت لآخر ، مستعيناً بأكواب من الشاي والقهوة لعلها تهدئ من روعي وقلقي اللذين جعلاني لقمة سهلة مضغها، تماماً مثل كل الليالي السابقة ..

وجدتني أقف لأحدث صورة (وطنية) زوجتي رحمها الله

- أرأيتِ يا وطنية ما تفعله معي ابنتنا ، لها رأس من

حديد ، مثلك تماماً ، لم تترك منكِ شيئاً ، سبحان الله العظيم في خلقه، وكأنكما كما يقول المثل :

(فولة وانقسمت لنصفين)

ترى هل تفلح رصاصات الأعداء في إصابتها هذه المرة ،

حتى تكون جليستك في قبرك ..؟!!

ترى هل ستكتب الأيام على باب بيتي أن أعيش بقية عمري وحيداً ..؟!! لا زوجة ولا أولاد ..

تطمئنني ابتسامة زوجتي الصافية كاللبن الحليب ، أتركها وأفتح كل النوافذ التي تطل على شوارع المدينة ، أترقب قدومها في لهفة ..

ظنون .. احتمالات .. خوف .. قلق ..

خيول عربية جامحة راحت تتحرك بشدة داخل صحراء رأسي، لا تهدأ ، ولا يهدأ لي بال إلا عندما أراها أمامي ، يتساقط عرقها الذي كاد أن

يغسلها لكثرته ، وقلبها الذي كاد أن يخرج من مكانه من جراء هروبها المتواصل بعد تنفيذ مخططها اليومي ، أغلق ما فتحته من أبواب وشبابيك ، أدخلها في حضن حضني ، تقبل يدي ، أقبل رأسها وأنا أتمتم بحمد الله وشكره لعودتها سالمة ،

مبتسمة تقول _ كما قالت من قبل _ وهى تلهث :

(لقد وفقني الله عز وجل في إصابة الكثير من جنود الاحتلال ، لقد جعلتهم يلعنون يوم مولدهم ، لقد جعلتهم يصرخون دمعاً وألماً ، ويشهد على ذلك ربى ، وعلم فلسطين المصغر الذي أجفف به عرقي من وقت لآخر ، وبعض الشباب الأحرار الأوفياء لتراب هذا الوطن)

ورغم خوفي الدائم عليها إلا أنني سعيد وفخور بأن هذه ابنتي، لا .. بل ابنة هذا الوطن .

ورغم انشغالها الدائم طيلة النهار في صنع رصاصها الحجري ، وممارسة نشاطها القتالي كل ليلة ، إلا أنها متفوقة دراسياً ، بل الأكثر من هذا أنها الأولى على مدرستها كل عام ، كيف يحدث ذلك ...؟!! لا أدرى .

- شد حيلك ..

قالها الطبيب ، بعد أن وضع يده على ظهري ، قلت والدموع _ المخبأة داخل عيني طيلة الأيام الماضية _ تغسل وجهي الآن :

- أخبرني عن حالتها ..

قال وأهداب عينيه تتجه مكان وقوفه :

- جاءتنا ابنتك غارقة في بحر دمائها ، أخرجنا من جسدها ما تيسر لنا إخراجه من طلقات رصاص ، اخترقت جسدها الواهن ، لك أن تتخيل أننا أخرجنا ما يقرب من إحدى عشرة طلقة ، ولم تتبق غير

اثنتين .. اثنتين فقط يصعب علينا إخراجهما ؛ لأنهما ملتصقتان تماماً بالقلب ..

الصمت القاتل راح يلفنا ..

خوفه الشديد علىَّ ، جعل الطبيب يتوقف عن حديثه ، سألته وأنا أعرف الإجابة جيداً :

- ماذا تريد أن تقول أيها الطبيب ..؟!!

رفع رأسه ..

راح يحدق فيها من خلف الزجاج ، ثم التفت ناحيتي ، وراح يقول في أسى وحزن دفين :

- أقولها لك بكل صراحة ، حتى تدبر أحوالك ، عليك أن تحتسب ابنتك عند الله و....................

قاطعته بقولي :

- ماتت ....

- لا .. ولكنها في طريقها للموت .. نعم في طريقها للموت لا محالة ..

- ألهذا الحد قد عجز الطب والأطباء عن إنقاذها من الموت المحقق

- لقد بذلنا أقصى ما في وسعنا لإنقاذها، لا تضيع وقتك ، اذهب وأقم لها مراسم تشييع جثمانها ، فما بين اللحظة والأخرى ننتظر خروج روحها إلى بارئها جلَّ جلاله ..

سألته في عجز:

- أليس هناك من سبيل لإنقاذها ..؟!

رد في أسى وانكسار :

- لا .. لقد أوشكت النهاية

- أو حتى بصيص أمل ..؟!

- صدقني إذا قلت لك إننا جميعاً نعيش على الأمل ، وبدون أمل مؤكد سوف نموت في بطء شديد ، اجعل أملك في الله أوله وآخره ..

صمت برهة ، ثم عاد يقول بعد أن وضع يده فوق كتفي :

- اعلم جيداً أن ابنتك شهيدة .. نعم شهيدة الوطن ..

ثم قال بعد أن مسح دموعه المتساقطة :

- بسم الله الرحمن الرحيم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون) صدق الله العظيم .. لا تحزن لموت ابنتك ، بل ادعُ لها بالرحمة والمغفرة ، وادعُ لنا أن نموت في سبيل الوطن .

- إنا لله وإنا إليه راجعون .. إنا لله وإنا إليه راجعون ،

رحت أرددها في همس وأنا في طريقي للخروج ..

- انتظر من فضلك ..

توقفت، ألتفت خلفي فوجدته نفس الطبيب، أقبل نحوى وهو ما زال يمسح دموعه ، ثم قال في فخر :

- خذ هذه الأشياء وجدناها داخل جيوب ابنتك ، مصحف صغير ، وعلم فلسطين ، وهذه النبلة .

تركني وأسرع بالفرار من أمامي، قبل أن ينهار باكياً، فردت العلم ووضعت بداخله المصحف والنبلة، ثم ألقيت عليها نظرة الوداع وانصرفت؛ لأقيم مراسم تشييع الجثمان والعزاء.

- 2 –

فور وصولي إلى البيت ، أمسكت سماعة الهاتف وأسرعت _ وقلبي يتمزق ألماً لفراقها _ بإخبار الأهل والأقارب والأصدقاء ، الذين حضروا مسرعين فور سماعهم النبأ الأليم .

- 3–

وطأت أقدامنا _ أنا ومن أراد مرافقتي _ الباب الرئيسي لمركز " فلسطين الطبي ".. وقفت أمام موظف الاستقبال ، وكلما هممت بأن أتحدث للموظف باسمها ، وأننا جئنا لنتسلمها جثة هامدة ، وجدتني أتراجع .. تقف الكلمات في حلقي ، حتى وجدتني أنخرط باكياً ، أسرع أحد الأصدقاء وضمني إلى صدره ، ورحنا نبكى سوياً ، وتقدم آخر من خلفنا وراح يملى على الموظف بيانات ابنتي ..

- هذا الاسم ليس موجوداً في الكشف ..

قالها موظف الاستقبال ، ورحنا نحدق فيه جميعاً ، وجدتني أسأل نفسي في صمت :

- إذا لم يكن اسم ابنتنا في الكشف .. إذن أين ذهبوا بها..؟!! أين ابنتي ..؟!! أتكون أيادي الأعداء قد وصلت إلى هنا لخطفها انتقاما لما فعلته معهم ..؟! أسرعت إلى الموظف ، انتشلت من بين يديه الدفتر ، ورحت أبحث عن اسم ابنتي بنفسي، لأكتشف عدم وجوده ، عدت أبحث عنه مرة ثانية وثالثة وعاشرة ، وعندما فشلت توجهت بسؤالي للموظف الذي راح يحدق في وجهي:

- إذا لم يدون اسم ابنتي في كشف الأموات.. فأين هي
إذن..؟! أرجوك أجبني لا تتركني هكذا ..؟!!
سألني بدوره :
- متى رأيتها آخر مرة ..؟!!
قلت وأنا أكاد أموت غيظاً منه ومن سؤاله :
- رأيتها صباح اليوم ، وهى ما زالت داخل حجرة العناية المركزة ..
طفت على صفحات وجه موظف الاستقبال ابتسامة طفيفة، ثم قال :
- اذهب سوف تجدها كما تركتها ..
أسرعنا ، فوجدناها ممددة على سريرها ، الابتسامة تملأ وجهها ، وعيناها الخضراوان تضيئان الحجرة ، جلسنا نتأملها من خلف الزجاج لساعات طويلة ، ونحن ندعو لها إما بالشفاء أو ....
طالبت الأهل والأصدقاء والجيران الذين حضروا معي أن يذهبوا ؛ حتى يدبروا حاجاتهم ؛ ويرعوا مصالحهم التي عطلت ، امتنعوا جميعاً في بادئ الأمر ، ولكنهم استجابوا لي بعد ذلك .

- 4–

صارت ابنتي حديث العالم بأسره ..
وراحت الصحف والمجلات العربية والعالمية تفرد
صفحاتها الأولى لأخبارها وصورها ..
صارت أخبارها وصورها تُبَثُّ كل يوم عبر الأقمار العربية والأوربية ، بل إن عميد كلية الطب صار يصطحب طلابه كل يوم ، ويشرح لهم

حالة ابنتي التي من المفترض أن تكون قد فارقت الحياة منذ شهور طويلة مضت ، على حد قوله ، وقول الأطباء من قبله ..

بل الأغرب من هذا أن هناك رسائل دكتوراه تناقش الآن في جامعاتنا العربية عن صلابة وقوة ابنتي ، ورفض جسدها الاستسلام للموت ، شهوراً طويلة .. طويلة مضت لا أعرف عددها لكثرتها، وأنا قابع هنا أمام حجرتها أشاهد ابنتي (زهرة المدائن) وهى تصارع الموت كل لحظة بسلاح الأمل.

الإعمار

التفت تلاميذ مدرسة (غزة) الإعدادية بنين ، ذات الصفوف الثلاثة ، حول بعضهم ؛ ليكونوا دائرة كبيرة محكمة الإغلاق .. لقد جاءوا بعد أن قام كل رئيس فصل بالاتصال بباقي التلاميذ ، مبتسماً راح يقول

(صلاح الدين) رئيس الصف الثالث :

- جئنا اليوم لنبحث سوياً عن كيفية إعمار مدرستنا الحبيبة(غزة) بعد أن تهدمت أجزاء كثيرة من فصولها الثلاثة ..

أتبعه (عيسى) رئيس الصف الثاني :

- يجب علينا الإسراع بإعادة بناء ما خلفه العدو من دمار فقد اقترب موعد العام الدراسي الجديد .. و ....

مبتسماً وفى أدب جم قاطعه (عرفات) رئيس الصف الأول بعد أن رفع يده عالياً ، وراح يقول :

- إعمار مدرستنا واجب علينا ، مثل طاعتنا العمياء لأوامر والدينا ، دون اعتراض أو حتى إبداء رأى ..

في تعجب سأل أحد الطلاب :

- وماذا علينا أن نفعل ..؟!

أجابه صلاح الدين :

- أن نجمع كل الأحجار المتهدمة ، ونقوم برصها بجوار بعضها ، حتى يتماسك الجدار ، ويستقيم ، وحتى يكون هذا الإعمار مفاجأة سارة لمدير المدرسة وباقي المدرسين والمدرسات ..

تساءل ثان :

- ولكننا نرى ونسمع عن اجتماعات عدة لرؤساء الدول العربية ، من أجل إعمار غزة ..

يجيبه عيسى :

- ألم تتذكر الأستاذ (منتصراً) مدرس التاريخ عندما شرح لنا معنى كلمة (غزة) .. وأنها مشتقة من الغزو للظلم فقط ومن أجل (غزة) يجب علينا أن نعتز بها ..

هم آخر بقوله :

- نحن أولى بمدرستنا (غزة) من غيرنا ..

سأل أحد التلاميذ وعلامات كثيرة تعجبية تملأ وجهه :

- ومن أين لنا بمواد البناء ..؟!

يجيبه أحد رؤساء الفصول :

- يشرح كل منا فكرة الإعمار لوالده ، ثم يطلب منه أن يساعده ، وبهذه المساعدات نشترى مواد البناء ..

- ولكننا قلة ، بعد أن استشهد منا الكثير والكثير من أصدقائنا ، من جراء العدوان ..!!

في تحد صارخ يجيبه آخر :

- بارك الله في القليل ..

أتبعه ثان :

- علينا أن نبدأ ، والعون كل العون من الله عَزَّ وجَلَّ ..

ومتى نبدأ ..؟
في تحد صارخ يرد رئيس الصف الثالث :
- غداً .. غداً إن شاء الله في الصباح الباكر ، فلم يعد أمامنا إلا أيام قلائل ، ويبدأ العام الدراسي الجديد ..

- 2 -

- غزة ..
- غزة ..
- غزة ..
في تحد صارخ ، راحت أصوات التلاميذ تخرج قوية من الحناجر ؛ لتزيدهم قوة على قوتهم ، بعد أن وزعوا مهام الإعمار فيما بينهم ..
- غداً إن شاء الله نكمل الإعمار ..
أعلنها (صلاح الدين) وهو يمسح العرق المتساقط عن وجه زميله (عيسى) ..

- 3 -

رويداً ..
رويداً ..
راح النهار ينسحب ، بعد أن راح يتثاءب كثيراً ما بين اللحظة والأخرى ..
حط الظلام بجناحيه ..
توقف (صلاح الدين) للحظات عن أداء عمله ، وراح

يحدق في الوجوه الملتفة من حوله ، التي هدها التعب ، خرج صوته من حنجرته صلباً قوياً :

- غداً إن شاء الله نكمل الإعمار ..

رد عليه زميله (عيسى) في تعجب :

- كيف نكمل غداً .. وغداً أول يوم في العام الدراسي الجديد..؟!

الصمت الحجري من حولهم راح يزداد. .ويزداد.. ويزداد

راحت العيون تحدق بشدة في حالة الإعمار التي لم تكتمل ؛ فما قاموا ببنائه قليل.. قليل جداً ، وما تبقى كثير .. كثير جداً ويحتاج إلى أيام أخر ..

- قدر الله وما شاء فعل ..

قالها (صلاح الدين) وهو يكبت دموعه ..

ومن ورائه قال (عيسى) الذي لم يفلح في إيقاف دموعه :

- إنه قدرنا ..

انسحبوا جميعاً ، وعيونهم الحزينة تنظر إلى الوراء ما بين اللحظة والأخرى ، يأكلهم الغيظ الشديد ..

- 4 -

(وتنفس الصبح)

وقف التلاميذ في(حوش) المدرسة يلفهم ذهول شديد ، لما يرونه من حولهم ، مدير المدرسة راح يشكر لهم فعلهم ، ويثنى على ما فعلوه بمدرستهم من إعمار ، رؤساء الصفوف الثلاثة الواقفون بجوار

بعضهم ، يلفهم الصمت الشديد ، ظلوا يحدقون في بعضهم ، فليس لديهم إجابة واحدة لما حدث .

خرج أحد التلاميذ عن صمته الطويل ، وراح يقول :

- إننا لم نستطع أن نكمل إعمار المدرسة ، فمن الذين أكملوا الإعمار..؟!

رد عليه زميله :

- إنه لشيء عجيب حقاً ..!!

قال ثان :

- أيكون قد بعث الله ملائكته ؛ ليعمروا المدرسة ..؟!

يتساءل ثالث في ذهول :

- انظروا حتى علم (فلسطين) الذي أحرق تماماً ، قد أصبح اليوم جديداً، يقف عالياً في شموخ، يرفرف في حرية كاملة

- تفضلوا على فصولكم ..

قالها مدير المدرسة في سعادة غامرة ..

تحرك رؤساء الصفوف الثلاثة، ومن خلفهم باقي التلاميذ ، الذين ما زالوا يتهامسون في ذهول .. وطأت أقدامهم أبواب الفصول ليفاجؤوا بما هو مكتوب على السبورة باللون الأخضر ..(مرحباً بكم في مدرستكم "غزة" الحبيبة ، وهنيئاً لكم بالعام الدراسي الجديد.. دعواتنا لكم بالنجاح والتوفيق ومزيد من الانتصارات.. مع خالص تحياتنا " أرواح شهداء تلاميذ مدرسة غزة ")

خبر .. وخبر

الزحام الشديد أربك إشارة المرور ، مما جعل من لا يعرف السبب يتساءل عن السبب ، على الفور يجيبه العليم ببواطن الأمور بأنها مظاهرة .

التدافع الشديد المتواصل من رواد سينما "العروبة" جعل أصحاب المحلات المتجاورة للسينما يغلقون أبوابها ؛ خوفاً من تكسير واجهات محلاتهم الزجاجية ..

المدير وبعض العاملين ورجال أمن المكان لم يستطيعوا
السيطرة على ما يحدث؛ مما جعلهم يستعينون بقوات أمن
الجيزة ..

مذيعو القنوات الفضائية وكاميرات وأقلام السادة الصحفيين ظلوا يسجلون الحدث الفريد لحظة بلحظة ، والبعض الآخر يقف على أهبة الاستعداد ، منتظرين في شوق ولهفة وصول البطلة التي تأخرت كثيراً عن افتتاح الفيلم .

_ 2 _

في صبيحة اليوم التالي ..
أفردت _ جميع الصحف الحكومية والمعارضة _ صفحاتها

الأولى والثانية والثالثة أخباراً وصوراً عن الراقصة الشهيرة "وطنية" بطلة الفيلم ، والتي وصلت متأخرة إلى سينما "العروبة" ، وقبل أن تفتتح الفيلم ، ظلت ترمى الجماهير المقاتلة بوابل من قبلاتها الساخنة ، وتعبيراً منها عن حبها الشديد لجمهورها الذي تأخرت عنه قرابة الساعة والنصف ، راحت ترقص لهم الرقصة الشهيرة "السكارى" .. مما جعل النيران الخامدة تشتعل في أجساد الملتفين حولها ، ومما جعل الزحام الشديد يزداد ويزداد رغبة لرؤيتها والاقتراب منها ، والذي أسفر عن مقتل ستة من خيرة شباب الأمة ، إثر سقوطهم أسفل الأقدام ،

وإصابة المئات ، وفى ذات الجرائد ، وتحديداً في ذيل الصفحات الأخيرة ، نشر خبر قصير .. صغير جداً .. جداً هذا محتواه :

(استشهد ليلة أمس ستة أشقاء من خيرة شباب أبناء غزة ، بعد أن دفعت بهم أمهم للتصدي للغزو الإسرائيلي الواقع على مدينة غزة .)

!!!!!!!!

العودة

اضطروا خاضعين لتلبية رغبتها ؛ بعد إلحاحها الطويل الذي لم يتوقف لحظة واحدة ، منذ إفاقتها ..

تركب (عزة) - ابنة الحادية عشرة من ربيعها – عربة الإسعاف ، انطلقت العربة ، راحت عيناها تتحركان تارة ناحية اليمين ، وتارة أخرى ناحية اليسار ، أخرستها المفاجأة للحظات ؛ من هول ما تراه من هدم ودمار ، قد

أصابا مدينتها (غزة) في مقتل من جراء قصف العدوان

المتواصل ليل نهار .

ظلت (عزة) تحتضن البيوت بعينيها اللتين راحتا تذرفان

الدموع ، وهى تتمتم بكلمات غير مفهومة ..

(الأمل .. الصبر .. الصمود ..)

- هنا ..

قالتها (عزة) فتوقفت العربة على إثرها ..

نزلت (عزة) محمولة بين أيديهم ، وقبل أن يدلفوا داخل بيتها المتهدم ، طالبتهم في كبرياء وشموخ أن ينزلوها أرضاً ، لم يصدقوا ما يسمعونه ، ومن ثم راحوا يتبادلون فيما بينهم نظرات التعجب ..

- كيف ..؟!

قالها واحد من بينهم ..

ردت في صلابة :

- أرجوك ..
قال ثان :
- جرحك لم يندمل بعد ..
ردت في شموخ :
- أرجوك ..
للمرة الثانية ينصاعون لأمرها ..
أنزلوها في هدوء وحذر شديدين ..
راحت تخطو أولى خطواتها زاحفة على يديها ، وما تبقى من ساقيها اللتين بترتا من جراء قصف بيتها ..
في صلابة وتماسك .. راحت أصابعها تزيل من طريقها قوالب الطوب المتكسر ، التي تعوق سير تقدمها ..
رجال الإسعاف يسيرون خلفها ، وهم يحدقون فيها في ذهول ، دون أن يتفوه أحدهم بكلمة واحدة ..
فجأة ..
توقف سير زحفها ..
راحت عيناها تتحركان حركات بطيئة متثاقلة ، تجوبان المكان ..
رائحة الموت البارد ما زالت تفوح بشدة ..
صوت الطائرات المحلقة في الهواء راح يدخل آذانهم قوياً
كان وقع المفاجأة عليهم ثقيلاً ثقل الحجر..
حروف (الخوف) الخمسة جلست متربعة على وجوههم
داعبت (عزة) ذكريات جميلة بريئة عذبة ..
لملمت نفسها المبعثرة وعواطفها المنصهرة ، وراحت تقول ، وعيناها تلمعان ببريق حزين :

- هنا كان أخي يلعب بالكرة ..
هنا كانت أمي تعد الطعام ..
هنا كانت أختي تحيك ثيابها ..
هنا كان أبى يكمل كتابة قصيدته ..
هنا كان ....
فجأة ..
خرجت (قطتها) عليها مسرعة ، وراحت ترتمي في حضنها بحثاً عن الأمان المفقود ، همست (عزة) في هدوء مغلف بالحزن :
- كلهم ذهبوا وبقيت قطتي ..
صوت الطائرات راح يقترب محلقاً فوق حطام البيت ، ترمومتر خوف – رجال الإسعاف – ارتفع فجأة حتى وصل إلى منتهاه ، قال أحدهم في توجس :
- هيا بنا ، غارات الطائرات الإسرائيلية عادت من جديد تحلق فوق سماء غزة ..
ردت (عزة) في حدة :
- لا .. لن أترك نبتتي ، لا لن أترك بيتي ..
قال ثان :
- هيا لتعودي إلى المستشفي ولتكملي علاجك ..
تبسمت في وجهه ثم قالت :
- هنا دوائي .. هنا شفائي .. هنا نجاتي ..
قال ثالثهم في خوف :
- لم يعد لكِ أحد ..
- ولكن أرواحهم ترفرف من حولي ، لتحميني ..

قال رابعهم :
- هيا وسوف تعودين مع المهجرين ، عند وقف إطلاق النيران ، و ......
قاطعته في حدة :
- ومن يطفئ نيراني المشتعلة بداخلي ..؟!
عاد الأول يصرخ في وجهها :
سوف تموتين ..!!
رمته بنظرة ساخرة ، ثم راحت تقول :
- كنت كزهرة صبار تعيش بلا ماء ..
صمتت برهة ، وراحت عيناها تحتضنان المكان ، ثم أردفت قائلة في حنو :
- والآن تكفيني قطرات الندى ..
صوت القذائف راح يدوى خارج البيت ..
نظر بعضهم إلى بعض في يأس ..
لقد باءت كل محاولاتهم بالفشل ..
تركوها وعنادها وحيدين داخل حطام البيت ، وخرجوا مسرعين ..
قلم أبيها الواقف في صلابة ، راح يناديها ، على الفور أسرعت تلبى النداء ..
مدت أصابعها نحو الورقة النائمة على ظهرها أسفل كرسي أبيها ، دون أن تصاب بأذى ، راحت تقرأ على نفسها عنوان القصيدة التي لم تكتمل :
- " أين أنت يا صلاح الدين ..؟! "
تحرك القلم فوق الورقة ، في محاولة منها لإكمال القصيدة ....

مدرسة النصر

وصل الأستاذ " عمران " إلى مدرسة " النصر الابتدائية " متأخراً عن موعده ، في أول يوم دراسي ، بعد إجازة نصف العام ، وبعد أن هدأ القصف الإسرائيلي المتواصل على مدينة " غزة " الفلسطينية ..

وطأت قدماه باب فصل 1/6، ودون أن ينظر إلى الأطفال. راح يقول والعرق يتساقط من وجهه :

- صباح الخير يا أولاد ..

- صباح الخير يا أستاذ ..

نظر إلى مصدر الصوت، إنها "أمل" الوحيدة داخل الفصل..

في ذهول راحت عيناه تتقافزان بين " التخت " ضارباً

أخماساً في أسداس ، باحثاً عن سبب واحد لغياب باقي الأطفال ، ولكنه لم يصل إلى إجابة واحدة ..

التفت إلى " أمل " التي ما تزال واقفة ، سألها في عجب :

- أين باقي التلاميذ ..؟!

ردت " أمل " في قوة :

- رحلوا منتصرين إلى جنة الخلد ..

تجمد المدرس في مكانه ، وقد أخذته المفاجأة ..

سألها في أسى :

- ومن وضع هذه الأوراق التي كُتِبتْ عليها أسماؤهم ، فوق أماكنهم

ردت في قوة :
- أنا يا أستاذ ..
- لماذا ..؟!
ردت والدموع تغسل وجهها :
- (ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أموتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)
الصمت الحجري من حوله راح يزداد، بعدما عقدت إجابتها لسانه ، عاد يحدق فيها تارة ، ثم يحدق في الكراسات القابعة أمامه في صمت تارة أخرى ، تلك الكراسات التي أخذها معه إلى البيت ؛ كي يقوم بتصحيحها ، وإعطائهم الدرجات التي يستحقونها في امتحان نصف العام ..
الدموع في عينيه تود الفرار ، حبسها بشدة
قامت "أمل" من مكانها، أمسكت بكراريس أصدقائها، راحت تضع الكراسة تلو الأخرى فوق "التخت" وهى تقول
- " منصور " عشرة على عشرة ..
" منتصر " أنت الآخَر عشرة على عشرة ..
" فارس " تسعة ونصف من عشرة ..
" عزة " تسعة من عشرة ..
راحت تلف على أماكنهم جميعاً ، تضع عليها كراساتهم ، مبتسمة تقرأ عليهم نتيجة إجاباتهم ، حتى انتهت ، ثم عادت تجلس في مكانها في الصف الأول ..
تعجب المدرس مما فعلته " أمل " ، وماذا تقصد به ..؟!
همس في حيرة وحزن :

- ماتوا جميعاً، ولم يتبق غير "أمل" تلك الطفلة المشاكسة العنيدة .. الصلبة ..؟!

قامت " أمل " من مكانها ، قاصدة السبورة ، راحت تنظفها تماماً ، ثم أمسكت بـ إصبع الطباشير ذي اللون الأخضر، الذي لم يتضرر بفعل القصف الإسرائيلي ، رسمت قوسين كبيرين، وكتبت داخلهما كلمة (الأمل) ثم وقفت أمام مدرسها وأعطته إصبع الطباشير، تناوله المدرس في عجب من أمرها، طالبته أن يشرح لها معنى كلمة (الأمل).. فهم المدرس مقصدها ، تبسم في وجهها ، مسح على رأسها ، ثم اتجه إلى السبورة ......!!

في انتظار المنتظر

" مفتتح "

" قد ينتصر الأعداء على غزة، وقد ينتصر البحر الهائج على جزيرة ..قد يقطعون كل أشجارها، قد يكسرون عظامها.. قد يزرعون الدبابات في أحشاء أطفالها ونسائها وقد يرمونها في البحر أو الرمل أو الدم ، ولكنها لن تكرر الأكاذيب، ولن تقول للغزاة :نعم وستستمر في الانفجار..!!"

الشاعر / محمود درويش

فور انتهائنا من تناول العشاء ، رحنا نقبل أيادينا حامدين

الله شاكرين إيَّاه على نعمائه الكثيرة ، وقبل أن نذهب إلى

النوم ، وقفت أصطف بجوار إخوتي الثمانية "غزة" و "عزة" و "انتصار" و "أمل" و "رجاء" و "إسلام" و "صابرة" و"ناصرة" صفاً واحداً ، وبجوارنا وقفت أمي ، وأمامنا وقف أبى رافعاً يده إلى عنان السماء ، يردد في قوة بصوته العالي الشهادة ، ومن خلفه رحنا نرددها في صوت واحد ..

ننتهي من تلاوة الشهادة التي اعتدنا عليها كل ليلة ، في حنو وخوف راح أبى يقبلنا تباعاً ومن خلفه أمي التي تربع على وجهها الخوف ..

يشعل أبى اللمبة السهارى نمرة خمسة ، بعدما أُطْفِئ مصباح البيت كله، ندخل حجرة نومنا الواسعة جداً ، رحنا نتراص بجوار بعضنا صفاً واحداً بعرض الحجرة، وفى الجانب الآخَر يلتصق أبى بأمي ، فمنذ أن اشتدت هجمات إسرائيل على (غزة) .. اشتد معها خوف أبى علينا ، ذلك الخوف الذي راح يتزايد بصورة واضحة ؛ حتى وصل به أن يجمعنا في حجرة واحدة ..

وكعادتي رحت أتقلب فوق فراشي في محاولة منى الإمساكَ بحبال النوم الطويلة ، ألمح أبى بطرف عيني وهو مستلق على ظهره يحدق بشدة في صورة (القدس) بحجمها الكبير، وهى تتربع في شموخ على حائط الحجرة، أرى في عينيه دموعاً تود الفرار ، لولا تماسكه الشديد الذي عاهدناه فيه، تلك الدموع التي أراها دوماً تقف على بابي عينيه كلما نظر إلى الصورة ، راح يتحرك في بطء شديد ؛ لينام على شقه الأيمن، ظل يحدق في أمي التي راحت في سابع نومة ، وكعادته راحت تتحرك أصابعه في بطء شديد وفى آلية منتظمة ، حتى تتوقف فوق بطن أمي المنتفخة عن آخرها ، ثم راح يحدث نفسه في تمن :

_ يا رب يكون ولد.. نعم ولد ليكون اسمه (صلاح الدين) ؛ فقد طال انتظاري له ..

تلك الكلمات التي كانت أول ما سمعته وأنا في بطن أمي،

وعندما حان موعد خروجي صدمته رؤيتي ..

اختفى من وجهه كل شوق في سعادة الانتظار ، وقف للحظات غارقاً في العرق المتساقط من وجهه ، وهو يفكر في هزيمته التي لم يتوقعها قط ، حتى وجد نفسه ينسحب

رويداً ..

رويداً
وعندما أخبرته أمي بحملها الجديد ؛ تهلل وجهه بابتسامة عريضة ، وعاد يردد تلك الكلمات مرة أخرى ، ومن ثم صدمته رؤية أختي الثانية ، ومع كل حمل جديد لأمي يعود ويحدث الجنين ..
يدعو..
ويدعو..
وينتظر ..
وفى كل مرة كان وقع المفاجأة عليه ثقيلاً ثقل الحجر ، حتى وصل عددنا تسع بنات .. نعم تسع بنات ..
(مثل القمر تماماً).. كما قالت أمي ، والتي دوماً ترمى بها في وجه أبى ، عندما تراه ينظر إلينا في حزن .
كثيراً ما تمنيت أن أمسح عن عينيه ألم الانكسار ، وفى كل مرة أكتشف أنى لست (صلاح الدين) الذي ينتظره ..
راح النوم يصارع جفوني ..
سريعاً أنهزم أمامه كعادتي ، تاركة أبى ما زال يدعو الله
خوفي الشديد عليه راح يجثم على صدري رويداً.. رويداً ..
ليجعله ضيقاً حرجاً ، وقبل أن أرفع راية استسلامي لسلطان النوم ، رحت أسأل نفسي :
ترى هل ما ينتظره أبى سوف يأتي حقاً ....؟!!!!!

صندوق غزة

- لو سمحت يا حبيبي ..
التفت ورائي ، تاركاً اللعب مع العيال ، وإذ بأربعة شيوخ متشابهين في كل الأشياء ، قلت لأحدهم :
- أنا ..؟!
- نعم.. نحن غرباء عن هذه المدينة ، وجئنا متطوعين لجمع التبرعات لضحايا (غزة)، ونريدك أن تساعدنا، وتسير معنا لدق أبواب سكان هذه المدينة ؛ لأننا لا نعرف أسماءهم، على الفور سقطت من يدي الكرة، بعدما أصبحت أسير كلماته التي ارتدت لباس الوهن والألم ، ووجدتني أنساق معه دون أن أدرى ..
- لو لم تكمل المباراة ستصبح مهزوماً ..
قذفني صديقي (خالد) بكلماته من خلفي بعدما تركت اللعب..
سعيداً رحت أسير بجوار الشيوخ الأربعة ذوى اللحى الطويلة ، اثنان منهم يحملان بين أيديهما صندوقاً خشبياً كبيراً كتب عليه باللون الأحمر القاتم عبارة
(لمساعدة ضحايا غزة)
ومن حوله صور لأطفال ونساء وشيوخ قتلى .
رائحة المسك الخارجة من ثيابهم المختلطة بالورع والتقى

راحت تفوح بشدة من حولي ، وفى يد كل منهم مسبحة يذكرون الله من خلالها ..

سيرى بجوارهم جنباً إلى جنب أشعرني – ولأول مرة- أنى صرت رجلاً.. نعم رجلاً (بحق وحقيقي) يعتمد عليه ، ودليلي على ذلك اختيار هؤلاء الشيوخ لي كي أساعدهم في رحلتهم للغوص داخل المدينة ..

(ولد يا أحمد)

فجأة انشقت الأرض وأخرجت من باطنها تلك الكلمات

التي دوماً ترددها أمي، عندما تنادى عليَّ؛ لتطلب منى شيئاً ..

مغتاظاً رحت أشيح بوجهي عن تلك الكلمات ، حتى اختفت من أمامي سريعاً ..

استوقفتهم أمام بيت الحاج (عبد العال) ورحت أدق بابه ، فتحت زوجته ، سألتها عنه ، فعرفت أنه قد سافر لشراء المواشي ، غرزت عينيها في الشيوخ الأربعة ، ومن ثم سألتني عن السبب ، وقبل أن أرميها بالإجابة سبقني أحد الشيوخ من الخلف :

- جئنا لجمع التبرعات من المال لضحايا (غزة) التي تحترق الآن ..

أتبعه الشيخ الثاني بكلماته:

- يقول رسول الله صلىَّ الله عليه وسلم " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا "

تركتنا ودخلت ، ثم عادت مسرعة حاملة بين يديها (بوك) أسود اللون منتفخاً عن آخره، وكأنه في أيامه الأخيرة من الولادة ، أخرجت كل ما بداخله من فلوس داخل الصندوق الذي فغر فاه عن آخره ، الشيخان المتحدثان نظرا إلى

بعضيهما ثم تبسما ، قال أحدهما :
- بارك الله فيكِ .. وجعله في ميزان حسناتك ..
تركناها ورحت أدق باب الأستاذ (عبد النبي) وما إن فتح الباب على مصراعيه حتى قال أحد الشيوخ :
- السلام على من اتبع الهدى ..
رد الأستاذ (عبد النبي) وعلى وجهه علامات التعجب :
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ..
هم الشيخ الثاني يقول :
- جئنا إليك متوسمين فيك خيراً ؛ لتساعدنا بما تجود به نفسك من المال لضحايا إخواننا في (غزة) ..
أتبعه الشيخ الثاني بكلماته السريعة كطلقات رصاص ، الواقفة على طرف لسانه :
- يقول رسولنا الكريم محمد صلىَّ الله عليه وسلم "من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته "
رد الأستاذ (عبد النبي) في خشوع :
- صدق رسول الله صلىَّ الله عليه وسلم ..
ثم أردف يقول وعلامات الحزن والأسى بادية على وجهه عندما نظر إلى الصور الملصقة على الصندوق :
- حسبي الله ونعم الوكيل ، دقيقة واحدة ..
دلف إلى البيت وهو يدعو على إسرائيل، ومن وراء إسرائيل .. لحظات وخرج في يده الكثير من الأموال التي وضعها داخل الصندوق ، ومن خلفه خرجت مجموعة التلاميذ - الذين

حضروا لأخذ حصة درس اللغة العربية راحوا تباعاً يخرجون من جيوبهم فلوساً قليلة ورقية وفضية ليضعوها داخل الصندوق ..

- بارك الله فيكم وأكثر من أمثالكم ..

قالها أحد الشيوخ ، ومن خلفه قال الشيخ الثاني :

- بالنجاح والفلاح والتوفيق إن شاء الله تعالى ..

وانصرفنا صاعدين إلى باقي شقق العمارة ، ولم أترك بيتاً في المدينة إلا وطرقته ، حتى امتلأ الصندوق عن آخره وفاض ، ولم يتبق غير بيتنا الذي جعلته آخر البيوت حتى ترى أمي وتسمع ما فعلته مع الشيوخ كي تتأكد أنى صرت رجلاً ..

استوقفني أحد الشيوخ ، بعدما راح يتبادل النظرات فيما بينه وبين باقي الشيوخ طويلاً ، ثم راح يقول مبتسماً :

- جزاك الله خيراً .. خذ جزاءك على ما فعلته من أجل ضحايا غزة ..

مد يده نحو الفلوس النائمة في هدوء فوق بعضها داخل الصندوق ، سحب جنيهاً ، مد يده نحوى ، وقبل أن يدسه في جيب قميصي، تراجعت على الفور ممتنعاً، وأنا أقول :

- أقسم بالله لن آخذ شيئاً..

أدخلت أصابعي في فم جيب بنطالي وأخرجت (جنيهاً ونصفاً) كل رصيدي في بنك الحياة، فقد نجحت في ادخارها من مصروفي على مدار الأسابيع الأربعة الماضية، دون أن تعرف أمي عنها شيئاً، ورحت أضعها داخل الصندوق..

راح الشيخ يقبل رأسي ، ومن خلفه راح الشيوخ الثلاثة

يفعلون نفس الشيء ، وسرعان ما انصرفوا وهم يدعون لي بالتوفيق والفلاح والنجاح ..
الفرحة التي غمرتني من جراء نجاح مهامتي في مساعدة ضحايا (غزة) أشعرتني أنني باستطاعتي الطير في الهواء..
فجأة شيء ما جثم فجأة فوق صدري ، حتى جعل قلبي يدق دقات سريعة متتالية على غير العادة ..
هربت الابتسامة سريعاً ، وحل محلها خوف شديد ، خوفي
على الشيوخ والصندوق من أن يعترضهم أحد ، جعلني
أتسلل وراءهم دون أن يشعروا بي ، رغم أن مدينتي
آمنة مطمئنة ، إلا أني قررت أن أقطع الشك باليقين ..
يدخلون شمالاً في يمين ثم في شمال ، وأنا أسير وراء خطواتهم ، حتى توقفوا أمام سيارة فارهة كانت في انتظارهم على مشارف المدينة ، تبسمت ، وهدأت دقات قلبي بعدما هرب الخوف ، وحل محله الأمن والطمأنينة .. ركب اثنان منهم بجوار السائق ، ومن ورائهم ركب الشيخان الآخران واضعين الصندوق فوق أرجلهما ، نزع أحد الشيوخ لحيته الطويلة ، وجذب (التلفيحة) المرسوم عليها علم (فلسطين) ورمى بهما فوق الكرسي الخلفي ، ومن ورائه فعل الشيوخ الثلاثة ..
جن جنوني ..
ارتجف جسدي النحيل ، وتلبسني الخوف الشديد ..
رحت أجر قدمي المكبلتين بأثقال الهزيمة القاسية وخيبة الأمل المفقود؛ كي أخبر أهالي المدينة ، ولكني لم أستطع ، قررت أن أصرخ في وجوههم صرخة احتجاج ، ولكن الدهشة عقدت لساني ..

قال أحدهم للآخَر الجالس بجواره :
- كيف أتتك هذه الفكرة التي لم تخطر لأحد على بال ..؟!
ضحك الآخَر ثم رد قائلاً :
- من عبط وهبل وطيبة الشعب المصري ..
عقب آخر :
- رزق الهبل على المجانين ..
انخرطوا جميعاً في الضحك المتواصل ..
قال رابعهم :
- تفتكر الحرب على (غزة) سوف تستمر ..؟!
أجابه الآخر :
- لماذا تسأل هذا السؤال ..؟!
- لأني سمعت أن هناك قمة عربية سوف تعقد غداً لوقف الحرب ، ولم الشمل العربي ..
ضحكوا جميعاً حتى دمعت أعينهم ، ثم قال أحدهم :
- أية قمة، وأي شمل عربي..؟!،الخوف ليس من انعقاد قمة؛ لأنها حتماً سوف تخرج نتائجها صفراً، مثل سابقتها من القمم، ولكن الخوف الحقيقي أن تتوقف إسرائيل عن ضربها لغزة، ادعوا أن تستمر الحرب حتى نأكل عيشاً .
انطلقت السيارة مخلفة وراءها غباراً كثيفاً..

الغصن

مد (سلامة) يده إلى أمه ..
في سعادة غامرة راحت أصابعه تلتقط مصروفه اليومي
يسرع إلى البائع .. يشتري غصن زيتون .
دائماً يصر على أن يزرعه في قلب الحارة .. تلك الحارة التي دوماً تدب في أوصالها الخلافات ؛ بعد أن انقسمت الحارة بمبانيها وسكانها وشوارعها إلى نصفين .. نعم نصفين ..
الحارة .. كل الحارة بمبانيها وسكانها ترفضه ، وترفض معه غصن زيتونه ..
راح (سلامة) يحفر بأصابعه ..
يزرع الغصن بقوة وصلابة في قلب الحارة الواهن ..
يجلس بجواره وهو يتأمله في سعادة ..
أطفال الحارة ما إن يروه يجلس بجوار الغصن حتى يرجموه بالحصوات ....
ينزف دماً ..
يقطعون الغصن ..
ينظر إليهم في حزن ..
- هاء ..
- هاء ..
- هاء ..

- هاء ..
- هاء ..
ضحكات الأطفال الساخرة راحت تلتف من حوله ..
يختنق ..
تجره قدماه في تثاقل شديد .. وحزن أشد..يدق باب بيته
تفتح أمه ..
الدم يرسم على وجهه خطوطاً طولية وعرضية متداخلة،
تلك الخطوط التي تشبه خارطة الوطن العربي ..
يتبادلان النظرات فيما بينهما ، دون أن يتفوه أحد بكلمة
لقد اعتادت أمه أن تراه هكذا .. _ ملطخاً بالدماء _ كل يوم فور أخذه المصروف ..
يدخل ..
يقف في الشرفة .. يحدق في صدر السماء ..
في انتظار صباح جديد ؛ حتى يأخذ مصروفه ؛ ليشتري غصناً آخر..

هدم البيت

مفتتح ..

"عندي كل شيء أيها السادة، نسور، أعقاب سجائر ، نشارة خشب، صفائح فارغة، وعندي شعوب هادئة وساكنة كالأدغال يمكن استخدامها في المقاهي والحروب وأزمات السير"
(الشاعر: محمد الماغوط)

- ربنا يهدى ..
قالها عمدة البلد وهو يهم بالخروج من البيت ؛ بعد أن باءت كل محاولاته بالفشل ؛ من أجل بناء جسر من التواصل للصلح فيما بينهما .. أغلقت الست (فداء) بابها؛ بعدما ابتلعتها موجة من الحزن حائرة جلست تفكر للمرة الـ(...) في أمر ولديها التوأمين (فتحي) و(حمادة) ، كل منهما يريد فرض آرائه على الآخَر بصوته الجَهْوَرِي ، أو بالقوة ، لقد خيل لكل منهما أنه الكبير ، ولذا من حقه أن يقود أمور البيت ، بل وصل بهما الأمر أن يرمى أحدهما الآخَر بإهانات عدة ؛ حتى وصل بهما الحال لتكسير أثاث البيت ، ذلك البيت الذي شيدته الست (فداء) ومعها زوجها (ياسر) - رحمه الله - يداً بيد ، رغم أن الأرض التي بنى عليها ذلك البيت هي الوحيدة التي لم تبع مثل باقي الأراضي المجاورة ، ورغم حقد الحاقدين بسبب بناء البيت لعلمهم بفقرهما ، وفى ظل ارتفاع الأسعار ، إلا أن البيت شيد ،

ووقف شامخاً في وجه الأعداء ، وراحت الست (فداء) تملأ البيت عن آخره بالأولاد كما طلب منها زوجها ؛ حتى تكبر وتثمر شجرة العائلة .. في همس شديد راحت الست (فداء) تحدث نفسها :

- ما ذنب باقي الأبناء الذين انقسموا إلى فريقين ، فريق يقف لمساندة (فتحي) والفريق الآخَر لمساندة (حمادة) وكل يوم يتساقط مصابون من الجانبين من جراء المعارك الجارية بينهما بالأيدي والأرجل ، ترى ماذا أفعل بعد أن (غزاني) وأقعدني المرض اللعين ..؟!! ، وبعد أن فشلت كل محاولات الأقارب والأحبة الذين استدعيتهم من مشارق الأرض ومغاربها - كوسطاء- لإقامة حوار تفاوضي من أجل الصلح فيما بينهما ، أقسم أنى لن أدعهما يهدمان البيت ، ولن أرضخ لطلبهما في تقسيم البيت إلى نصفين ، آه ه ه ه ه ه ه ه

أخرجتها الست (فداء) طويلة من أعماق .. أعماق قلبها وأردفت قائلة :

- رأسي يوشك على الانفجار ..

ريموت التلفاز القابع بجوارها يناديها في صمت ، أمسكت به ، صوبته نحو التلفاز ، خرجت كلمات المذيعة حزينة عبر نشرة الأخبار :

- (تساقط عشرات القتلى والجرحى إثر الخلاف القائم بين جماعتي فتح وحماس) في ضيق أغلقته، امتدت أصابعها نحو عكازها الخشبي ، استعانت به على الوقوف، راحت قدماها تخطوان خطوات بطيئة متثاقلة، وهى تحدث نفسها في حزن وقوة :

- المرحوم (ياسر) لم يضعف ، ولم يستسلم طيلة حياته، ويجب أن أكون كذلك ،عليَّ أن أنام ؛ لأريح عقلي؛ حتى أصل إلى حل .

التوأمان

***أدخل* حجرة مرسمي بعد يوم شاق من العمل ..**
تلك الحجرة التي أجد فيها نفسي .. نعم الحجرة الوحيدة داخل البيت .. بعد أن أقوم بنزع كل الأقنعة الزائفة التي أضطر لارتدائها كل يوم ، والتي رسمتها الأيام على وجهي كأفضل رسام ، حتى أعجب كل البشر ..
أضيئ مصباح الحجرة ..
تبتسم الجدران ..
تتمطع الألوان من ركود نومها .. ومعها أشعر وكأني ولدت من جديد ..
آخذ أنفاساً نظيفة متتالية ، تدخل سريعاً إلى صدري المعبأ بالزيف والأكاذيب .. أسَمِّى الله ومن ثم أقوم برفع قطعة القماشة البيضاء من فوق اللوحة التي لم تكتمل بعد ، وهذا ما لم يحدث من قبل ..
تلك اللوحة التي كثيراً ما أقف أمامها وأشعر معها بالعجز لعدم اكتمالها ، ويزداد عجزي لعدم معرفة ما ينقصها ، وكثيراً ما ينتابني شعور كأني أمسك الفرشاة لأول مرة
رحت أحدق فيها طويلاً للمرة الـ (..........) باحثاً بعين الفنان والمتلقي عن الشيء الناقص فيها.. شيء كبير وحيوي إذا أمسكت به سوف يضفى عليها مزيداً من الجمال ، ولكن أين هو؟! وما هو؟!

وكيف الوصول إليه؟!
آه ه ه ه ه ه
الفرشاة النائمة في بحر مائها استيقظت على الفور وراحت تناديني .. انتشلتها من غرقها ، وضعتها بين أصابعي ، ثم عاودت النظر مرة ثانية إلى اللوحة ..
فجأة ..
انفتح باب حجرتي بقوة شديدة على مصراعيه .. تلك القوة التي أربكتني وجعلت الفرشاة تسقط من بين أصابعي ..
بقوة الصاروخ اندفع نحوى طفلاي التوأمان (فريد) و(حسام) .. قدومهما نحوى بهذه السرعة أشعرني بالخوف على اللوحة التي لم تكتمل .. دفعني خوفي هذا بفرد يدىَّ على اتساعهما ..
قوة تسابقهما واندفاعهما نحوى جعلاهما يصطدمان بي؛ فأوقعاني فوق لوحتي التي سقطت على الأرض ..
وقف كل منهما يطالبني بنصف جنيه كعادتهما فور علمهما بعودتي من عملي ..
غاضباً .. مستسلماً قمت من مكاني ورحت أدس أصابعي داخل جيب بنطالي ، وأخرجت لكل منهما نصف جنيه ..
صرخ في وجهي (فريد) الذي يكبر أخاه (حسام) بدقيقة ونصف فقط :
_ أنا الأول ..
قاطعه (حسام) في حدة :
_ لأ أنا الأول .. أنا أقوى منك
_ لأ .. أنا الأقوى ..

ولأني أعرف مدى الخلاف الشديد فيما بينهما ، والذي وصل إلى منتهاه من فرط حب سيطرة كل منهما على الآخَر ؛ حتى تغلغلت الأنا وتضخمت بداخل كل منهما ، وتملكته ..
في خبث مصطنع منى مددت يديَّ في وقت واحد نحوهما وفي كل يد نصف جنيه .. التقطا النصفين في وقت واحد وسرعان ما أسرعا خارج الحجرة كما الطائرة ، يود كل منهما الخروج من البيت قبل الآخَر من أجل أن يصل أولاً إلى بقالة (الخواجة)
الذي حط على ناصية الشارع فجأة ..
تداعت أمام ناظري مقولة أمي طيب الله ثراها ، والتي كانت تحب أن ترددها فور انتهائي وإخوتي من طعام الإفطار
(اجعلوا الحب مطراً يغسل قلوبكم دائماً)
رويداً ..
رويداً ..
جرفني تيار خلافهما مرة أخرى ..
جلست أفكر في أمر التوأمين اللذين يختلفان كلياً وجزئياً عن سائر التوائم في كل شيء ، لقد حاولت ردم فجوة الخلافات الفاصلة فيما بينهما وإقامة (جسر) قوامه المحبة والإخلاص .. مرات عدة حاولت فيها لم شملهما أو على الأقل يصافح كل منهما الآخَر ، ولكنني في كل مرة أفشل ، ويشهد على فشلي هذا أعمام وأخوال التوأمين وكان آخرهم شقيقي الأكبر _ المقيم في السعودية منذ سنوات لظروف عمله _ والذي راح ينظر إليهما في غيظ شديد ثم ينظر إليَّ في غيظ أشد دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، وعندما ضاق بهما وبي وبنفسه ، ولم يعد لديه ما يقوله أو يفعله ، صرخ في وجهي وعيناه

عليهما :
(سيبهم يخبطوا دماغهم في الحيطة.. هما اللي خسرانين)
كل الأشياء الجميلة التي كانت مشتركة فيما بينهما انقسمت فجأة بقدرة قادر إلى نصفين ..
حجرة نومهما ..
ملابسهما ..
طعامهما ..
ألف سؤال وسؤال راح يهاجمني دون الوصول إلى إجابة
انسحبت داخل نفسي ؛ بعدما لملمت شتات هزيمتي مثل كل المرات السابقة كلما حاولت الوصول إلى حل مع التوأمين
آه ه ه ه ه ه ه ه
قمت بوضع اللوحة فوق حاملها مرة أخرى ..
فجأة ..
رأيت وجه (الخواجة) يتربع فوق اللوحة وابتسامته الصفراء التي ملأت اللوحة عن آخرها .. تلك الابتسامة التي كثيراً ما حاولت وفشلت في ترجمة معانيها .. هذا الرجل الذي لا أعرف له أصلاً أو حتى مصدر فلوسه التي من خلالها راح يشترى معظم بيوت الحارة ، مهما كان ثمنها .
هذا الرجل الذي دائماً ما أجده ينتظرني أمام دكانه ليوقفني عند عودتي من عملي ، تسبقه إليَّ ابتسامته الغامضة ، وهو يقول :
(مش عاوز أفك لك جنيه نصين)
ما السر وراء الاهتمام الزائد لذاك الرجل بي ..؟!
هل هذه محبة زائفة منه ؛ حتى يجرفني تيار البيع وأبيع له أنا

الآخَر..؟! أو لأن نصفى الجنيه سوف يعودان إليه مرة أخرى؛ عندما يؤتى بهما التوأمان لشراء حاجاتهما؟!
آه ه ه ه ه ه
رحت أتحرك داخل الحجرة عاقداً يدي خلف ظهري ، وأنا أفكر بصوت عالٍ عازماً عزماً أكيداً على عدم خروجي من هذه الحجرة دون الوصول إلى حل .. حل ينسف جبال الخلافات القائمة بين التوأمين ..
قلق ..
خوف ..
احتمالات ..
ظنون ..
خيول عربية أصيلة جامحة راحت تداهم صحراء فكرى بشدة ؛ حتى شعرت أن رأسي قد انشطر إلى نصفين ، وعندما ضاق صدري بأسئلتي التي راحت تنساب فيه ، ونفد صبري دون الوصول إلى إجابة، رحت أحدث نفسي: هل أنسحب وأعلن هزيمتي كما تعودت ..؟!
خرجت من جوفي لاءات كثيرة أوشكت الحجرة أن تمتلئ بها..
عدت وحاولت الوصول إلى إيجاد حل مرة ومرات دون تعجل ..
فجأة ..
قفزت إلى مخيلتي فكرة جديدة .. جريئة لم تخطر على بال أحد من الإنس أو حتى من الجن .. فكرة وجدت فيها الحل الوحيد وعلى إثره وجدت نفسي أردد في سعادة :
(اجعلوا الحب مطراً يغسل قلوبكم ..)
(اجعلوا الحب مطراً يغسل قلوبكم ..)

عدت ووقفت أمام اللوحة لعلى أكتشف الناقص فيها ، لأجد أنها قد ثنيت من جانبها الأيمن من جراء اندفاع التوأمين نحوى .. ليست هذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها التوأمان _دون قصد_ تمزيق هذه اللوحة..هذه اللوحة دون غيرها من اللوحات السابقات.. ولكني قادر على إصلاحها

-2-

ساعات طويلة وأنا أقف أمام اللوحة ؛ كي أعالج ما أفسده التوأمان ، ومن حين لآخر أنظر إلى باب حجرتي الذي تركته (مواربأ) بعض الشيء في انتظار دخول التوأمين .

وفي لهفة شديدة ، دخلا علىَّ كعادتهما مسرعين كعربتين فقد سائقاهما السيطرة عليهما ، نجحت في صدهما قبل أن يصطدما بهذه اللوحة ، كما اعتادا ، ودون أن أسمح لأحدهما بكلمة واحدة ، رحت في هدوء مصطنع وبطء شديد أدس أصابعي داخل جيبي الذي جعلته خاوياً إلا من جنيه وحيد (ماسك بعضه) أخرجته في هدوء وعيني عليهما ، وضعته بين أصابعي العشرة ورحت أبدأ في وضع الخطوط الأولى لخطتي .. قلت في خبث مصطنع :

_ أنا مش معايا نصين .. معايا جنيه وحيد ماسك بعضه و...............

قاطعني (فريد) بحدة :

_ أنا اللي حاخده لأني ....

قاطعه (حسام) بدوره :

_ وليه ما يكونشي أنا ..

_ لأ أنا ..
_ لأ أنا ..
اندفع الاثنان نحو الجنيه _القابع في صمت وحيرة_ في وقت واحد ، لينقطع إلى نصفين ، وليفاجأ كل منهما أن بين أصابعه نصف الجنيه
وقفت أشاهد في صمت التصاعد الدرامي للحدث المنشود
كل منهما راح يحدق _ وبشدة _ فيما بين أصابعه ثم ينظر في حسرة وألم إلى ما في يد الآخَر وتارة ثالثة يتبادلان النظرات في صمت موجع ..
رحت أتأمل انكسارهما في سعادة بالغة .. ومن وقت لآخر تطفو على وجهي بسمة خافتة ..
لفهم حزن وصمت موحش .. ذلك الصمت الذي راح يطول ويطول ثم يطول ..
أرى في عينيهما كلاماً كثيراً ..
خجلهما الشديد من نفسيهما جعلهما غير قادرين على تفوه أحدهما ولو بكلمة واحدة ..
في تحد واضح رحت أسألهما :
_ الجنيه اللي معاكم مش حينفع ينصرف إلا إذا التحم والتصق كما كان ..
أخرستهما المفاجأة للحظات ، دون أن يجيبني أحدهما ..
سكاكين نظراتي المتلاحقة والتي راحت تطعنهما في أعينهما ؛ جعلتهما يتركان الحجرة الواحد تلو الآخر وهما يجران خلفيهما وقائع الهزيمة القاسية والانكسار ..
رميت بجسدي فوق الكرسي الهزاز كاتماً بشدة ضحكاتي التي تود

الخروج ..
رأيت (الخواجة) على غير عادته يجلس حزيناً واضعاً يده أسفل ذقنه تارة وتارة أخرى عيناه زائغتان تنظران في حيرة يمنة ويسرة تفتشان في وجوه المارة عن التوأمين ..
أفقت من غفوتي لأجد التوأمين يقفان جنباً إلى جنب أمام اللوحة وفى يد كل منهما فرشاة يرسمان معاً سوراً حديدياً قوياً كحائط صد حول (المسجد الأقصى) ، هزني الموقف بشدة ، وقفت للحظات غارقاً في صمتي ؛ فقد كان وقع المفاجأة على ثقيلاً .. وجدت نفسي أنسحب في بطء شديد حتى لا يشعرا بي وأنا أهمس :
السور الحديدي إنه الشيء الناقص في لوحتي ، والذي بحثت عنه طويلاً ، وقبل أن أغادر الحجرة سمعت صوت قبلات حارة التفت إلى مكانها .. وجدت نصفى الجنيه كل منهما يقبل الآخَر في عناق حار،بعد أن تم لصقهما جيداً .

توأمان .. ولكن

انتفضت من نومي على صرخات متواصلة لأحدى ولدىَّ التوأمين .

كأس النوم ما زال يسكرني، وضعت قدمي على الأرض ، تاركاً لهما حرية الحركة ، حيطان البيت راحت تتخبطني فيما بينها حتى وجدتني أقف أمامهما ، تمنيت لو أن سبب البكاء _هذه المرة _ يكون مختلفاً عن المرات لسابقة، وما إن وقعت عيني على أخيه في الجانب الآخر من الحجرة وهو يحاول جاهدا كتم ضحكاته حتى عرفت السبب، وقفت بينهما حائراً .. غاضباً دون أن أتفوه بكلمة واحدة ، فلم يعد لدى ما أقوله ، غير أنى رحت أنظر إلى طفلي الذي لم يتوقف لحظة واحدة عن البكاء تارة ، وتارة أخرى أنظر إلى شقيقه الذي ما زال يكتم أنفاس ضحكاته ، إلى متى سوف تستمر هذه المسرحية الهزلية التي لا أعرف من قام بتأليفها أو إخراجها ، كل ما أعرفه أن التوأمين يتبادلان أدوار البطولة فيما بينهما ، وآخر هذه الأدوار أن قام أحدهما برفع الغطاء عن أخيه وهو نائم بجواره، حتى إذا ما استيقظ الآخَر وجد نفسه غارقاً في بوله، من جراء برد الشتاء ، لقد ضاقت بي وبهما زوجتي، فأول من أمس كادت زوجتي أن تضرب رأسها في جدار الحجرة ، بعدما وجدتني أرفض وبشدة ما اقترحته على ، أن أفرق فيما بينهما، فالبيت كبير .. كبير جداً ، ويسع من الحجرات الكثير ، إنه الحل الأمثل من وجهة نظرها ، ولكن مهما يحدث فلن

أنصاع للتفرقة؛ حتى لا تتسع دائرة الشتات أكثر من هذا ، فليس من المعقول بعد أن استجاب الله لدعوتي ليل نهار ، ورزقني بولدين ، أن أفرق بينهما .

آه ه ه ه ه ه ه ه

دقائق قليلة وتتبدل الأدوار ، وينقلب الحال ، سوف يضحك الباكي ، ويبكى الضاحك ، نعم دقائق قليلة ويجمعنا طعام الإفطار ، ويضع الباكي ملعقة كبيرة من الشطة في فنجال شاي الضاحك ، أو يطفئ أحدهما على الآخَر مصباح الحمام، أو أن يرتدى أحدهما ماسْك مصاص الدماء، ويظهر فجأة للآخر ليلاً ، كم تمنيت لو أن يحولا الكره المتبدل فيما بينهما إلى حب .. حب حقيقي يبنى ويعمر .

كثيراً ما جلسنا نحن الثلاثة على مائدة المفاوضات ، نتحاور ، نتبادل أطراف الحديث ، ونخرج سعداء متفقين بعد نزع فتيل الخلاف القائم بينهما ، ساعات قليلة ينعم بها البيت بالراحة ، وسرعان ما يعود الصراخ والخلاف فيما بينهما ، لم أترك شيئاً يجمع بينهما إلا وفعلته ، وكان آخره أنى استعنت بالأهل والأصدقاء بل والجيران ، لننزع فتيل الخلاف القائم بين التوأمين ، ولكن كل هذه المحاولات قد باءت بالفشل ، وعدت أضع يدي أسفل خدي

أفكر في أمرهما ، رافضاً اقتراح زوجتي بعد أن أعلنتها صريحة مدوية :

(ما فيش فايدة .. شيل ده من ده يرتاح ده عند ده)

أقترب من طفلي الذي لم يتوقف لحظة واحدة عن بكائه، وضعت يدي فوق رأسه، ورحت أمرر أصابعي على شعره ، بعدما ضممت رأسه إلى صدري ، رويداً .. رويداً تهدأ ثورة بكائه ، وتجف دموعه تماماً ،

لن أرفع راية اليأس المنقوشة بعلامات الفشل، وأفعل ما قالته زوجتي، لن أسمح للتوأمين " فتحي" و"حمادة " أن يهدما البيت ، راح الصمت يلفنا من كل جانب، رحت أدعو الله أن يلهمني الصبر والأمل ، وعيني على صورة المسجد الأقصى المعلقة على جدار الحجرة ، والتي راحت تتباعد شيئاً فشيئاً من جراء ضعف بصري المتواصل .

أبنـاء هدم..؟

انتفخت بطن الحارة بأطفالها ، حتى أصبحت وكأنها في أيامها الأخيرة قبل الولادة ..
خرجوا بعد أن لفظتهم بيوتهم ..
صاروا كأسراب نمل فرادى وجماعات ، من بعد بياتهم الشتوي ، وجدتني أحدث نفسي هامساً :
- هلت بشائر الإجازة الصيفية ..
رحت أراقبهم كشيخ لا يقدر على فعل شيء سوى قراءة الجرائد، ومتابعة نشرات الأخبار ، والنوم بخاصةً في ساعة العصاري ، ومراقبة المارة وقتاً طويلاً من وقت لآخر من خلال هذه الشرفة الضيقة.. الضيقة جداً تماماً كعلبة السردين، والتي لم تكن تسع إلا لاثنين.. زوجتي التي رحلت وأنا ، فماذا عساي أن أفعل بعد أن أفرج عنى ، وخرجت من سجن عمري الطويل، بعد أن قررت حكومتي الإفراج عنى نهائياً بضمان محل إقامتي ، بعد أن وصلت إلى سن التقاعد ..
آه ه ه ه ه
ترميني زوجتي بابتسامة ساخرة من خلف بروازها الخشبي المتهالك ، تبسمت أنا الآخر ابتسامة لا لون لها ولا طعم ، ثم وجدتني أقول في انكسار أبدى :
- هذا هو حال حكومتنا يا ست الستات ، يأخذوننا لحماً طريا ، وهِمَماً قوية ، ويرموننا عظاماً نخره ، تماماً بعد عصرنا كعود القصب ..

(ربنا يجعل يومي قبل يومك .. قادر يا كريم)
علمت الآن .. الآن فقط لماذا كانت زوجتي تدعو ربها جَلَّ جلاله دوماً بهذا الدعاء _ تحديداَ_ كلما وجدتني مهموماً ، لقد كانت قارئة جيدة لي وللأيام ، لقد فضلت أن تموت قبلي ؛ حتى لا تراني على هذا الحال ، تمنت موتها قبلي حتى لا تراني وحيداً ضعيفاً لا أقدر على فعل شيء ، بعدما كنت كل شيء تقريباً ، لا أدرى كيف ينقلب الحال هكذا فجأة من حال إلى حال ..؟!! من مدير يقود صفاً طويلاً من الموظفين والموظفات ، إلى شيخ ضعيف متهالك ، تحركه الأيام بريموتها اليومي .
أكنت تتوقع هذا يا أنا ..؟!!
أحقاً كنت تتوقع هذا ..؟!
هكذا وجدتني أصرخ في ذاتي المنهكة باحثاً عن إجابة ..
وهل تنفع أو تشفع أو تغنى من جوع تلك الإجابة ..؟!!
بيد ترتعش أمسكت كوب الشاي الخالي تماماً من السكر ، بعد أن أجبرت من قِبل الأطباء..الذين أقروا على أنى لا بد أن أشرب ..أن آكل ..أن أتنفس ..أن.. وأن.. وأن.. وأن دون سكر ..
(حتى ولو ملعقة صغيرة.. صغيرة جداً للتحلية يا دكتور؟!)
(إني أحذرك .. فجسدك لم يعد يتحمل أية مضاعفات)
هكذا كان سؤالي معترضاً وبشدة على ملح أيامي ، وهكذا كانت إجابة آخر الأطباء .
رحت أرتشف من كوب الشاي ، وعيناى تراقبان أطفال الحارة الذين افترشوا أرضها ، فمنهم من راح يلعب (القطة العمياء)، ومنهم من يلعب بالكرة ، ومنهم من راح يلعب (البلى) ومنهم من راح يلعب (

الحجلة) .. وهناك من راح يلعب (السيجة) .. ألعاب جميلة وفقيرة لم تكلفهم شيئاً ، وجدتني أتبسم متذكراً الزمن الجميل ، وأصدقائي الذين تفرقوا من بعد جمع بسبب خلافاتنا المستمرة ، وجدتني أقبِّل البسمة أو الضحكة المرتسمة على وجوه وشفاه أطفال الحارة، متمنياً أن تعود إليَّ قوتي الضائعة ، وعمري الضائع ، وأنزل إليهم ، ألعب معهم كي أنسى مرارة أيامي ، تلك المرارة التي أتجرعها صباح مساء ، قبل وبعد الأكل .

- هاء ..

- هاء ..

- هاء ..

جذبتني ضحكات الأطفال الصافية الخارجة من أعماق ..
أعماق قلوبهم ، تلك الضحكات الساخرة التي أطلقوها
على زميلهم الذي عصب عينيه بشريط طويل من القماش
حالك السواد ، بعد أن وقع عليه الاختيار ؛ ليكون القطة العمياء، فكلما اعتقد أنه قد أمسك بأحدهم ، سرعان ما تأكد له أنه قد أمسك الهواء ، وهم لم ولن يرحموه ضرباً على قفاه ، أو شد شعره ، أو قرصه في ركبتيه أو شد أذنيه ، أو إنزال بنطاله بعض الشيء ، المهم عندهم إيلامه والضحك عليه دائماً، وهو لا حول له ولا قوة ، مازال يتحرك يمنة ويسرة تارة ، وتارة أخرى يتقدم للأمام وإلى الخلف، وكله أمل وصبر في الإمساك بأحدهم ، شيء ما جعلني أنجذب إلى هؤلاء الأطفال ، وتحديداً هذا الطفل معصوب العينين ، والذي راح يسقط على الأرض من وقت لآخر ، وددت لو أنى أستطيع النزول ، وأمسك له بأحدهم حتى يصبح مكانه ، ويذوق ما ذاقه من

مرارة الضرب والإهانة ، ولكن كيف لي هذا ..؟!! وجدتني أصرخ بكل ما أوتيت من قوة :

- هناك عن يمينك،وثانٍ أمامك تماماً

و......و.........

بح صوتي تماماً ، دون جدوى ، فهو لم يسمعني .

فتحت جريدة الصباح ..

هتك ..

قتل ..

دمار ..

بيع ..

عناوين بارزة باللون الأسود تتصدر الجريدة ..

غاضباً وجدتني أرمى بها جانباً ..

غاضباً أمسكت بريموت التلفاز _ الذي ظل يناديني من وقت لآخر في صمت _ وجهته نحو التلفاز ، الذي استيقظ على الفور من ركود نومه الطويل ..

تخرج عليَّ مذيعة نشرة الأخبار ؛ لتعلن في أسى وحزن دفين عن فشل محاولة لم الشمل بين بعض الدول العربية

تصيبني خيبة الأمل ..

أبدل القناة ..

امرأة عجوز تتشبث بآخر ما تبقى لها في أرضها ،

تحتضن وبقوة شجرة الزيتون كوليدها ، تغسل وجهها

دموعها التي لم تتوقف قط ..

أبدل القناة ..

طفل صغير .. صغير جداً يبلغ طوله كعقلة إصبع ، تحمله قدماه في صلابة ، يقف مرفوع الرأس ، يمسك في كفه الأيمن حجراً ، وفى الأخرى صورة جماعية لأبويه وإخوته الثلاثة الذين تهدم عليهم بيت العائلة ؛ من جراء قصف ليلى من عدو غاشم ، يقف في وجه إحدى الدبابات _ التي وجهت فوهتها نحوه _ دون خوف أو فزع ..

أبدل القناة ..

شيخ يعتلى المنبر ، لحيته قد ابتلت بدموعه ، ويجلس متربعاً على وجهه حلاوة الإيمان .. كل الإيمان ، يصرخ باكياً في وجهي ووجوه الحاضرين الملتفين من حوله :

- (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)

أشعر بشدة ضعفي ..أغلق شاشة التلفاز ..

أضع الريموت جانباً ، لينام في هدوء على ظهره ..

أعود وأحدق مرة ثانية في وجوه أطفال الحارة ، عجباً ما هذا ..؟!! لقد توقف كل أطفال الحارة وتوقفت معهم ألعابهم ، والتفوا جميعاً حول طفلين قد جلسا فى منتصف الشارع ، يصنعان بيتاً خشبياً جميلاً بديع المنظر ، معهم حق ، إنه يستحق التقدير والتفافهم جميعاً من حوله .

وجدتني منجذباً لما يفعله الطفلان ..

أتناسى ولأول مرة آلامي ..

وجدتني أنتفض ، وسرعان ما راحت تتحرك يداي وحواسي معهم خطوة .. خطوة لما يفعلانه ..

رحت أسترق السمع لأحدهما ، وهو يقول للآخَر في ثقة زائدة:
- ضع مسماراً هنا ..
- حاضر ..
- احمل معي السقف ..
- حاضر ..
كل النوافذ المغلقة قد فتحت أفواهها على اتساعها ، خرجت منها رؤوس نساء ورجال ، راحوا يحدقون في سعادة غامرة فيما يرونه لأول مرة ، وما يصنعه الطفلان في قوة وصلابة وتعاون وتحد ملحوظ ..
الشارع قد امْتُلِئ عن آخره برؤوس الأشهاد التي راحت تتزاحم ؛ من أجل رؤية ذلك المشهد البديع في صمت .
- أنت أخطأت ..
- لا .. بل أنت المخطئ ..
- أنت ..
- بل أنت ..
- أنت لا تفهم شيئاً..
- احتر منى فأنا أكبر منك بل وأقدر منك على الفهم ..
- عليك أن تعتذر لي على الملأ ؛ حتى نكمل ما قد بدأناه
- أنا لم أخطئ، ولم أتعود الخطأ حتى أعتذر لك أو لغيرك
- سوف يقتلك غرورك وكبرياؤك ..
- احترم نفسك وإلا هدمت ما صنعته ..
- بل أنا الذي سأهدمه فوق رأسك ..
فجأة ..

ارتفعت أياديهما معاً، وراحت تتسابق في هدم ما قد شيداه
جن جنوني ..
كدت أن أقتلع ما تبقى في رأسي من شعرات قليلة بيضاء من هول ما أراه وأسمعه ..
آه ه ه ه ه ه ..
وجدتني أردد :
- لقد هدموا البيت .. لقد هدموا البيت ..
أضرب رأسي ..
رحت أهذى بكلمات كمجذوب حارتنا:
فشل دائم ..
كره دائم ..
تفرق دائم ..
دخلت الرؤوس جميعاً ، بعد أن أغلقت النوافذ ، وكانت آخرها نافذة جارتي الست " أمل " تلك المرأة العجوز التي لم تفقد الأمل قط في عودة ولديها اللذين سافرا سوياً إلى إحدى الدول العربية منذ سنوات طويلة ، ومنذ سفرهما وهى تطلب منهما العودة إلى حضنها ، وفى كل مرة يأتي جوابهما معاً عبر خطاباتهما أو اتصالهما التليفوني
(عندما يعود أخي أعود أنا)
وتفرق الجمع من بعد توحد ..
وسلك الطفل " فتحي" في اتجاه معاكس تماما ًلـ "حمادة "
ومازلت أحدق في بقايا هيكل البيت الذي تهدم ، ذلك البيت الذي يشبه تماماً وإلى حد كبير المسجد الأقصى أو هكذا خُيِّل إلىَّ

المؤلف فى سطور



صدر له :

1- الحقيقة المرة– قصص قصيرة . طبعة أولى عام (1997م)
2- من يحمل الراية– قصص قصيرة طبعة أولى عام (2000م)
3- الحقيقة المرة– قصص قصيرة طبعة ثانية عام (2002 م)
4- رائحة القدس – قصص قصيرة طبعة أولى عام (2004م)
5- صور باهتة قصص قصيرة-طبعة أولى عام (2006م)
6- تواصل العطش–قصص قصيرة–طبعة أولى عام(2009م)
7- رؤوس تحترق–قصص قصيرة–طبعة أولى عام(2010م)
8- سمع هس - قصص قصيرة – طبعة أولى عام (2011م)

9- أحلام مبتورة-قصص قصيرة - طبعة أولى عام(2011)
10- ذلك الصوت-قصص قصيرة– طبعة أولى عام(2012م)
11- زهرة في الميدان – قصص قصيرة- طبعة أولى عام (2013م)
12- ثورة العرايا – رواية قصيرة – طبعة أولى عام (2013م)
13- يوسف إدريس أمير القصة العربية – أعداد وتقديم / محمود أحمد على – عام (2013م)
14- أجازت له لجنة الدراما بإذاعة القاهرة الكبرى قصة(عازف العود) لتصبح تمثيلية إذاعية من إخراج/أمجد أبو طالب عام (1997م)
15- غزة تكتب شعراً - أعداد وتقديم/ محمود أحمد على– عام (2014) م
16- سداسية الوصول- قصص قصيرة- طبعة أولى عام (2014) م
17- أبحثوا معي عنى _ قصص قصيرة – طبعة أولى (2015) م
18- مصر في عيون شعراء الشرقية - أعداد وتقديم / محمود أحمد على – عام (2015) م
19- عفواً – قصص قصيرة – طبعة أولى – طبعة أولى (2016) م
20 – عضة كلب – قصص قصيرة – طبعة أولى – عام (2016) م
21- إليكم القاتل والمقتول- قصص قصيرة – طبعة أولى-عام2016
22- الأحرف الممصوصة – قصص قصيرة- طبعة أولى عام 2017
23- التورتة – قصص قصيرة- طبعة أولى عام 2017
24- واحة الغرباء – قصص قصيرة – طبعة أولى عام 2018
25- شموع تحترق من أجلنا – خاص بالأطفال - طبعة أولى عام 2018

26- دقيقة حداد – قصص قصيرة – طبعة أولى عام 2018

حاصل على (31) جائزة أدبية مصرية وعربية ودولية :

1- فازت مجموعته القصصية (دقيقة حداد) بالمركز الأول فى مسابقة شاعر / أديب النيل والفرات التى أسسها الشاعر : ناجى عبد المنعم عام 2018

2- فاز بالمركز الأولى في المسابقة العربية بالمغرب(تازة) عن مجموعته القصصية (الأحرف الممصوصة) لعام 2016

3- فاز بالمركز الثاني في المسابقة الأدبية الدولية لمؤسسة(ناجى نعمان) فى لبنان لعام 2016 عن مجموعته القصصية(واحة الغرباء)

4- فاز بجائزة الهيئة العامة لقصور الثقافة لأفضل مدير تحرير السلسة الأدبية التي تصدر بالفرع في مسابقة النشر الإقليمي لعامي (2013) و (2014) وسلمه الجائزة الدكتور محمد أبو الفضل بدران رئيسة الهيئة عام 2016

5- فازت قصته القصيرة (موت) بالمركز الأول في مسابقة (أنوار الرسالة) لعام 2014م

5- فازت قصته القصيرة (قتلانا وقتلاهم)بالمركز الأول في مهرجان القلم الحر للإبداع العربي الدولي الرابع لعام 2013

6- فازت مجموعته القصصية(تناغم موسيقى) بالمركز الثاني في المسابقة الدولية لمؤسسة ناجي نعمان للثقافة بلبنان عام 2013

7- فازت مجموعته القصصية(زهرة في الميدان)بالمركز الأول كأفضل مجموعة قصصية في المسابقة العربية(عماد على قطري)عام 2013م
8- تم اختيار قصته القصيرة جداً(لن ننساك إلى الأبد) كأفضل قصة عربية ضمن 14 دولة من الوطن العربي في مسابقة المتكأ الثقافي الأول في جنس القصة القصيرة عام 2013 9
9- فازت روايته (ثورة العرايا) بجائزة إحسان عبد القدوس المركز الثالث لعام 2013
10- فازت قصته (عفوًا) بالمركز الأول في مسابقة نادي القصة بأسيوط لعام 2013
11- فازت قصته (المختلف) بالمركز الثاني في مسابقة اتحاد كتاب مصر فرع الإسكندرية لعام 2012
12- فازت قصته(قلم ينزف دماً..!!) بالمركز الأول في مهرجان القلم الحر للإبداع العربي الدولي الثالث لعام 2012
13- فازت قصته القصيرة (يده في يدي) بالمركز الأول في مسابقة الدكتور طه حسين(متحف رامتان) لعام 2012
14-فازت قصته القصيرة(المرأة الغريبة) بالمركز الثاني في مسابقة إقليم شرق الدلتا الثقافي لعام 2012م
15- فازت قصته القصيرة(سداسية الوصول إلى الميدان) بالمركز الأول في مسابقة أكتوبر ودار المعارف عام 2012
16- فازت قصته(الجرح النازف) بالمركز الثاني في مسابقة فريق القلم الحر للقصة القصيرة في دورتها الأولى برعاية"دار الحكمة للطبع والنشر" لعام 2012م

17- فازت قصته القصيرة (هواؤهم وهواؤنا) بالمركز الأول في مسابقة مركز رامتان (متحف د/ طه حسين) عام 2011م

18- فازت قصته القصيرة (مدرسة النصر) بالمركز الثاني في مسابقة القدس الأدبية بالمملكة العربية السعودية عام 2009م والتي نظمتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

19- فازت قصته القصيرة(آهة القهقهات) بالمركز الأول جائزة مجلة العربي الكويتية وهيئة الإذاعة البريطانية الـ (بى بى سى) في القصة القصيرة على مستوى الوطن العربي عام 2009م

20- فازت قصته القصيرة (كلب العرب) بالمركز الثاني لجائزة دار الأدباء عام 2009م

21- فازت قصته القصيرة (فوق الأرض .. تحت الأرض) بالمركز الثالث لجائزة صلاح هلال الأدبية عام 2008م

22-فازت قصته القصيرة(عضة كلب)بالمركز الثاني لجائزة حزب التجمع في دورتها الأولى عام 2008م

23- فازت مجموعته القصصية (رائحة القدس) بالمركز الثاني لجائزة دارا لأدباء عام 2008م

24- فازت قصته القصيرة (مصباح علاء الدين) بالمركز الأول لجائزة جريدة الحياة عام 2006م

25- فازت قصته القصيرة (الحلم الساكن بداخلها) بالمركز الثاني لجائزة صلاح هلال الأدبية عام 2005 م

26- فازت قصته القصيرة (لم يعد هناك مكان) بالمركز الثاني لجائزة ساقية الصاوي عام 2004م

27-فازت قصته القصيرة (جدتي) كأفضل قصة قصيرة في استفتاء جريدة المساء عام 2002م

28-فازت قصته القصيرة (للمرة الخمسين بعد الألف) بالمركز الثاني لجائزة الأدب العربي عام 2001 م

29- فازت قصته القصيرة (الثوب الجديد) بالمركز الأول لجائزة الأدب العربي عام 2000 م

30- فازت قصته القصيرة (لم يسقط الحجر) بالمركز الأول لجائزة مجلة (صوت فلسطين) عام 1998م

31 - فازت قصته القصيرة (من يحمل الراية) بالمركز الثاني لجائزة نادي القصة لعام 1997 م

محتوى الكتاب